

الطريق إلى نوبل

أدباء مرشحون للفوز بالجائزة

إعداد وترجمة

ياسر شعبان

الطريق إلى نوبل.. طريق للقراء

في 27 نوفمبر 1895، قام مخترع الديناميت (ألفريد نوبل)، سويدي الجنسية، بتوثيق وصيته في النادي السويدي- النرويجي بمدينة باريس، وتضمنت تخصيص كامل ثروته (31 مليون كرونة) - وصلت الآن إلى 1702 مليون كرونة- وفقاً باسم الجائزة؛ توجه عوائد استثماره للفائزين بفروع الجائزة من أصحاب الإنجازات، التي تنفع الإنسانية دون اعتبار للون بشرة أو مكان. فهل كان يعرف حينها أن جائزته هذه ستصبح الجائزة الأشهر في العالم، ليس فقط لقيمتها المالية المرتفعة؛ بل لأنها أصبحت الجائزة الأكثر إثارة للجدل عبر تاريخها، سواء كان ذلك الجدل حول المنح أو المنع.

عند انطلاقتها عام 1901، بلغت قيمة الجائزة مائة وخمسين ألف كرونة، تم توزيعها على خمسة مجالات؛ الآداب والسلام والفيزياء والطب والكيمياء، لتصل بعد 114 سنة إلى ثمانية ملايين كرونة في عام 2015.

وفي العاشر من أكتوبر من كل عام يتم إعلان أسماء الفائزين بالجائزة في كل فرع من فروعها، على أن يتم تسليم الجائزة في العاشر من شهر ديسمبر، الموافق تاريخ وفاة ألفريد نوبل، في حفل كبير يلقي فيه الفائزون كلماتهم بمناسبة الفوز بالجائزة.

ومنذ انطلاقتها، يصاحب الإعلان عن الفائزين بالجائزة كثيراً من التكهنات والالغظ والتحفظ وصولاً للاحتجاج والشجب والإدانة.

ويرجع جزء كبير من ذلك إلى آلية منح الجائزة، فنوبل لا تعلن قوائم طويلة وأخرى قصيرة للمرشحين، مما يفتح الباب على مصراعيه أمام التكهنات والأقاويل، قبل إعلان أسماء الفائزين؛ والتي غالباً ما تكون مفاجئة للمتابعين بشكل عام؛ وفي مجالات الأدب والسلام بشكل خاص. ففي الفروع العلمية للجائزة يكون لدى غالبية المتابعين والمهتمين -سواء من المشتغلين بالمجالات نفسها؛ أو من الصحفيين المتابعين لها، أو حتى القراء أصحاب الميول العلمية- قدر

معتبر من الدراية بالمستجدات في هذه المجالات، حيث إن المجالات والدوريات المتخصصة تتابع بدقة تلك المستجدات، خاصة وأن الأبحاث في المجالات العلمية والاقتصادية لا بد أن تكون باللغة الإنجليزية أو تترجم لها دون تأخير، وهذا مفتقد في مجالات الأدب والسلام. فحركة الترجمة الأدبية حول العالم مهما بلغت تظل أقل من الترجمات العلمية والاقتصادية، ويزداد الوضع سوءاً عندما يتعلق الأمر باللغة العربية، فالترجمة للعربية هزيلة ومتأخرة للغاية، بشكل عام، وفي مجالات الأدب بشكل خاص. وهذا لا يعني أبداً جهلنا بالأسماء الحاصلة على الجائزة في مجال الأدب، أو اعتبارها غير جديرة بالجائزة. فالطريق إلى الجائزة طريق طويلة وشاقة، لتأتي الجائزة بمثابة تنويع عند بلوغ خط النهاية في سباق ماراثون، وذلك في الغالب الأعم.

ومن واقع تجربتي الخاصة طوال ثلاثين عاماً من الاهتمام بالأدب، بدأت بشغف القراءة وانتهت بأن أدركتني حرفة الأدب، استقرت بداخلي الفرضية السابقة، فمثلاً؛ من كان يعرف جابرييل جارثيا ماركيز، وف.س. نايبول، وجوزيف برودسكي، وجيسواف ميوش، وفيسوفا شيمبورسكا، نادين جورديمر، وكويتزي، كازو إيشجورو، ساراماجو... إلخ، أعداد محدودة بالنسبة لبعض الأسماء، ولا أحد تقريباً للبعض الآخر.. وأذكر أنه عند فوز فيسوفا شيمبورسكا أصيبت الأوساط الثقافية العربية بالصدمة، فلم تكن هناك أي معلومات عن هذه الشاعرة التي اتضح فيما بعد أنها شاعرة مهمة وفاعلة وغزيرة الإنتاج، وتعد علامة من علامات الأدب البولندي المعاصر؛ مثلها في ذلك مثل شاعر بولندا الكبير جيسواف ميوش. وللأسف صدرت ترجمتان (فيما أعرف)، واحدة عن البولندية والأخرى عن الإنجليزية، بالإضافة إلى ترجمات متفرقة لقصائد وحوارات، وتوقف الأمر عند هذا المستوى الاحتفالي التجاري بأعمال الفائزة بجائزة نوبل. وكنت أتمنى أن تترجم كامل مجموعاتها الشعرية والدراسات التي كتبت عنها؛ وسيرتها، ليكون لدى القارئ العربي مرجعٌ يليق بهذه الشاعرة قبل الجائزة.

وهناك واقعة أخرى تتعلق بفوز ف.س. نايبول، في يوم إعلان الجائزة كنت موجوداً بمكتب أخبار الأدب، بصحبة الصديقين محمد شعير وحسن عبد الموجود، وسمعنا صوت الهاتف من مكتب الأستاذ جمال الغيطاني، وكان المتصل من مؤسسة نوبل، يود الحديث مع الأستاذ

جمال، وعندما رددت عليه، سألني هل هناك انزعاج من فوز ف.س. نايبول بالجائزة؟ وبادرت بالنفي، على خلفية أننا لا نعرف شيئاً عنه لنزعج أو نرحب.. وللأسف كانت هذه هي الحقيقة، فحتى تاريخ فوزه بنوبل، لم تترجم له رواية واحدة للعربية رغم أنه يعد واحداً من الكتاب الروائيين المهمين في إنجلترا، لدرجة الاحتفاء به، لأنه أضاف للبلاغة الإنجليزية، كما أنه معروف بمواقفه المنتقدة للثقافة والمجتمعات الإسلامية، وذلك على خلفية أصوله الباكستانية.

والشيء نفسه ينطبق على ساراماجو وكازو إيشجورو، وكذلك على الروائي الصيني مويان والشاعر السويدي توماس ترانسومتر...

أزمة قديمة مقيمة تزداد تفاقمًا بمرور الوقت، مثلها مثل كل الأزمات التي تخلقها مجتمعاتنا وتتحول إلى دوائر مفرغة تزداد سوءاً بمرور الوقت.

مع كل إعلان لجائزة نوبل للآداب يبدأ الاندهاش والهولة للحصول على معلومات، والترجمة المتسارعة للأعمال؛ لأغراض تجارية لأجل اللحاق بـ "هوجة نوبل" قبل فوات الأوان. يحدث هذا بنفس الترتيب والتورط كأننا لا نتعلم، ولا نتذكر ما قلناه لتدارك الأمر من أهمية العمل المؤسسي لمتابعة الجديد في مجالات الأدب حول العالم، عمل مؤسسي تشارك فيه الكليات والمعاهد المتخصصة في الآداب والترجمة، وتشارك فيه مؤسسات الدولة مثل المركز القومي للترجمة والمجلس الأعلى للثقافة، ومؤسسات المجتمع المدني المهمة بالترجمة ودور النشر الخاصة. وكالعادة النتيجة فردية، مثل سلسلة نوبل التي تصدرها دار المدى، أو سلسلة الجوائز الصادرة عن هيئة الكتاب، وكلتاها لاحقتان لمنح الجوائز، وليستا ساعيتين لتقديم أسماء على طريق الإبداع والتفوق والتفرد؛ الذي غالباً ما تشهد محطاته جوائز مثل بوكر وجونكور وبولتزر وغيرها وصولاً لجائزة نوبل.

وعلى طريق هذه الجهود الفردية، فكرت في تقديم سلسلة من الحلقات بجريدة أخبار الأدب لتقديم أسماء مهمة في مجالات الأدب حول العالم، نبذة عن هؤلاء الكتاب ومقتطفات من أعمالهم ومقالات وحوارات. وبعد فترة تبلورت الفكرة بعقلي لتصبح (الطريق إلى نوبل)، الطريق التي نمهدا للقراء كي يقابلوا كتاباً وكاتبات متميزات ظهرت أسماء بعضهم على قوائم

المرشحين، بالإضافة إلى آخرين لهم إسهامات بارزة قد تدفع بهم لقوائم المرشحين لاحقاً،
وربما للفوز بالجائزة دون ترشيحات أو تكهنات...!!

الطريق إلى نوبل.. خطوة أولى في طريق طويلة تتطلب عملاً دعواً من الجهات التي أشرت
لها سابقاً، حتى نتجاوز مرحلة أهل الكهف مع كل إعلان لجائزة نوبل في الآداب.

ياسر شعبان

القاهرة

أكتوبر 2016

(1)

بيتر هاندكه

مثير للجدل وحاصد للجوائز

بيتر هاندكه Peter Handk، روائي وشاعر وسيناريست نمساوي مرموق، أثارت آراؤه السياسية جدلاً واسعاً، وحصدت أعماله الإبداعية العديد من الجوائز الدولية.

ولد في 6 ديسمبر 1942 بمقاطعة بانكوف ببرلين، وقت أن كانت خاضعة للاحتلال السوفيتي، لينتقل مع أمه في عام 1948 للعيش في جريفين. وفي حياة هاندكه حدثان لهما أثر قوي عليه، فلقد انتحرت أمه عام 1971، وكان هذا الانتحار موضوعاً لكتابه "حزن وراء الأحلام... تأمل في حياتها"، أما الحدث الثاني فيتعلق بزواج والدته السكير الذي رباه في بيئة ثقافية فقيرة، ما جعله يكره أن يقع تحت سطوة العادة والاستحواذ.

في عام 1954 تم إرساله لمدرسة داخلية كاثوليكية. وهناك نشر أولى كتاباته في الصحيفة المدرسية. وفي 1959، انتقل إلى كلاجنفورت حيث التحق بالمدرسة الثانوية، وفي 1961 التحق بكلية الحقوق جامعة جراز. وخلال سنوات الدراسة، اهتم هاندكه بترسيخ أقدامه ككاتب، والتحق برابطة كتاب جراز، وهي رابطة للكتاب الشباب، قامت بنشر كتيب يضم أعمالاً لهم. ودير بالذكر أن إلفريده يلنك وباربرا فريتشموت كانتا من بين أعضائها.

ترك هاندكه الدراسة في عام 1965، بعدما قبلت دار نشر "سوركامب فيرلاجس" نشر روايته "The Hornets". ولفت الانتباه عند ظهوره في اجتماع مع الفنانين الطليعيين (جماعة 47) في برينستون، نيوجيرسي، بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث قدم مسرحيته (إهانة الجماهير). وأصبح هاندكه مشاركاً في تأسيس دار فيرلاج دير أوتورين في 1969، وكان عضواً في جماعة (Grazer Autorenversammlung) من 1973 إلى 1977. وقام بكتابة العديد من سيناريوهات الأفلام، وكذلك أخرج فيلم "المرأة العسراء" والذي عُرض عام 1978.

وتّم ترشيح الفيلم لجائزة السعفة الذهبية في مهرجان كان 1978، وحصل على الجائزة الذهبية من سينما الآرت هاوس الألمانية في 1980، وقبلها فاز هاندكه بجائزة مهرجان الفيلم الألماني عن كتابة سيناريو فيلم Falsche Bewegung. ومنذ 1975، انضم هاندكه للجنة تحكيم الجائزة الأدبية الأوروبية (Petrarca-Preis).

وبعد مغادرة جامعة جراز، عاش في دوسلدورف بألمانيا، ثمّ باريس وأمريكا (1978-1979) وانتقل ليعيش في سالسبورج (1979-1988). ومنذ عام 1991 يعيش في تشافيل بالقرب من باريس.

مثير للجدل

في عام 2006، نشر مقالاً بعنوان "الرحلة إلى الأنهار: العدالة لصربيا"، وأثار جدلاً واسعاً، لأنه صوّر صربيا من بين ضحايا الحرب اليوغوسلافية. وفي المقال نفسه، هاجم الإعلام الغربي لأنه أساء تناول أسباب وتبعات تلك الحرب. فيما طالب الرئيس اليوغوسلافي سلوبودان ميلوسوفيتش بأن يكون هاندكه من شهود الدفاع عنه أمام المحكمة الجنائية الدولية، ورفض الكاتب ذلك الطلب، لكنه زار المحكمة كمتابع، ونشر لاحقاً ما دونه من ملاحظات في صحيفة (The Tablas of Daimiel). وفي عام 1999، كتب البعض أن "هاندكه" قد فاجأ حتى أكثر معجبيه بما قدمه من مبررات متعاطفة مع نظام سلوبودان رغم كل ما ارتكبه من جرائم إبادة جماعية. وأشار إلى أن هاندكه تسلم من أحد المسؤولين الصربيين أمر الرئيس اليوغوسلافي سلوبودان ميلوسوفيتش للقيام بحملة دعائية خلال زيارته لبلجراد، مما يفسر كل ما تفوه به من هراء حول مسلمي البوسنة وأنهم من ارتكبوا تلك المذابح بحق بعضهم البعض، ثم لاموا الصرب على ذلك، وكذلك حول إنكاره الدائم لأي إبادة جماعية قام بها الصرب في سربرنيتشا.

وفي 18 مارس 2006، وأمام ما يزيد على عشرين ألفاً من مشيحي سلوبودان ميلوسوفيتش، ألقى هاندكه كلمة وداع بالصربية أثارت زوبعة من الجدل في الغرب حول مدى قربته من الرئيس الصربي. لكنه أنكر أن يكون قد عبّر عن سعادته بقربه من ميلوسوفيتش الذي عاش مدافعا عن شعبه. وأرسل لإحدى الصحف الفرنسية (Nouvel Observateur) رسالة تضم

ترجمته للكلمة التي ألقاها في الجنازة: العالم، أو ما يُدعى العالم، يعرف كل شيء عن يوغوسلافيا وصربيا. العالم، أو ما يُدعى العالم، يعرف كل شيء عن سلوبودان ميلوسوفيتش. ما يُدعى العالم يعرف الحقيقة. لكنني أشاهد وأنصت وأشعر وأتذكر. لهذا أنا هنا اليوم، بالقرب من يوغوسلافيا، بالقرب من صربيا، بالقرب من سلوبودان ميلوسوفيتش.

وتصدى الكاتب السلوفيني "دراجو جانكار" لمواجهة آراء ومواقف هاندكه فيما يتعلق بالحرب اليوغوسلافية، ودارت بينهما مناظرة مثيرة لفترة طويلة.

الجوائز

في 2006، تمّ ترشيح هاندكه لجائزة هينريش هينه، لكن كانت هناك مشكلة تتعلق بالقيمة المالية للجائزة (50 ألف يورو)؛ فمنحها مرتبط بموافقة مجلس مدينة دوسلدورف. وأعلن أعضاء منتمون للأحزاب الكبرى في المجلس أنهم سيصوتون ضد منح هاندكه الجائزة، وهكذا تمّ سحب ترشيحه للجائزة.

لكن في 2014، تمّ منحه جائزة إبسن الدولية، وصاحب ذلك بعض المطالبات للجنة التحكيم بالاستقالة. وأدان نادي القلم النرويجي هذا القرار.

وصرح بيرنت هاجتفيت؛ وهو متخصص في الشمولية الاستبدادية، بأن منحه الجائزة عارٌ غير مسبوق، فهو شبيه بمنح جائزة إيمانويل كانط لجوبلز. لكن على الطرف الآخر، رحب بالقرار حاصل آخر على الجائزة، وهو جون فوسيهس، مؤكداً أن هاندكه جدير بالحصول على جائزة نوبل في الآداب.

وبالإضافة لهذه الجائزة، حصل هاندكه على جوائز أخرى: جائزة جورج بوتشنر 1973، جائزة أمريكا 2003، جائزة جروبر الأدبية 2008، وجائزة فرانز كافكا 2009.

وأخيراً جاء اسم بيتر هاندكه ضمن تكهنات نوبل لعام 2014، وتوقع كثيرون أن يحصل على الجائزة لما تتميز به أعماله من ثراء وتنوع.

قصائد

أغنية الطفولة

عندما كان الطفل طفلاً
كان يمشي بذراعين مرفرفين،
ويرغب في أن يصبح الجدول نهراً،
وأن يتدفق النهر هادراً،
وأن تتحول البركة إلى بحر.

عندما كان الطفل طفلاً،
لم يعرف أنه كان طفلاً،
كان كل شيء روحانياً،
وكانت جميع الأرواح روحاً واحدة.

عندما كان الطفل طفلاً،
لم يكن له رأي في أي شيء،
لم تكن لديه عادات،
كان يجلس غالباً بساقين متقاطعتين،
وينطلق في الجري،
ولديه خصلة شعر نافرة،
ولم يكن يدعي أي تعبيرات بوجهه عند التصوير.
عندما كان الطفل طفلاً،

كان ذلك وقت تلك الأسئلة:
لماذا أنا أكون أنا، ولست أنت؟
لماذا أنا هنا، ولست هناك؟
ومتى بدأ الزمن، وأين ينتهي الفضاء؟
أليست الحياة تحت الشمس مجرد حلم؟
أليس ما أراه وأسمعه وأشمه
مجرد هلوسة تعود لعالم ما قبل العالم؟
وأمام حقيقة أفعال الناس الشريرة
يتساءل، هل الشر موجود فعلياً؟
كيف تسنى أن أصبح ما عليه أنا، ومن أكون،
ألم يوجد سابقاً ما أصبحت عليه،
وهل سيأتي يوم ما، لا يظل ما أنا عليه
هو ما أكونه؟
عندما كان الطفل طفلاً،
كان يختنق عند تناول السبانخ، البازلاء،
بودنج الأرز،
والقرنبيط المطهو بالبخار،
والآن يأكل كل هذا، ليس لأنه مجبر على ذلك.

عندما كان الطفل طفلاً،
استيقظ مرة في فراش غريب،
والآن يتكرر ذلك معه مرة بعد أخرى،
وكان عديد من الناس يبدو جميلين له،
والآن قليلون فقط، بالصدفة البحتة.
كانت لديه صورة واضحة عن الفردوس،

والآن ليس لديه سوى التخمين،
ولا يستطيع تصور العدم،
ويرتجف اليوم بمجرد التفكير فيه.

عندما كان الطفل طفلاً،
كان يلعب بحماسة،
والآن، لا يكون لديه نفس الحماسة،
إلا عندما يتعلق الأمر بالعمل.
عندما كان الطفل طفلاً،
كان مرضياً بالنسبة له أن يأكل تفاحة.. خبزاً،
ولا يزال كذلك للآن.

عندما كان الطفل طفلاً،
كان يملأ بالتوت كفيه على آخرهما،
ويفعل ذلك الآن،
كانت المكسرات الطازجة تجعل لسانه يلتهب،
ويحدث ذلك الآن،
وعند بلوغه قمة كل جبل،
كان يتطلع لبلوغ قمة أعلى،
وفي كل مدينة،
كان يتطلع لمدينة أكبر،
وما زال هكذا للآن،
كان يصل للتوت بأعلى فروع الأشجار
بنفس النشوة التي تسري به الآن،
كان خجولاً أمام الغرباء،

وما زال كذلك للآن.
كان ينتظر بشغف بدايات تساقط الثلج،
وما زال هكذا للآن.

عندما كان الطفل طفلاً،
كان يرمي العصا مثل الرمح تجاه الشجرة،
وهناك ما زال يرتعش لليوم.

إلى الأجل

لفترة طويلة مضت رغبت في الكتابة عن الأجل
ليس مقالاً، ولا مسرحية، ولا قصة..
الأجل يستدعي قصيدة.

رغبت أن أسائل نفسي بقصيدة،
أتذكر مع قصيدة،
أطالب وأستعيد مع قصيدة،
ما يعنيه الأجل.

مرة بعد أخرى جربت الأجل،
بداية الربيع في نافورة سانت ماري،
في ريح الليل عند بورت دي أوتويل¹
تحت شمس الصيف في كارست²
في الطريق إلى المنزل قبل الفجر.

لا يمكن أن يعتمد الأجل على:
حتى المتدين الزاهد
الذي يحضر القداس يومياً،
ولا حتى المريض، ملك الانتظار،

1. Porte d'Auteuil: محطة مترو في باريس للخط العاشر وتقع في التقسيم 16 من باريس. وتم إنشاؤها عام 1913.

2. tsraK: الكلمة الإنجليزية مشتقة من كلمة ألمانية الأصل، بدأ استخدامها قبل بداية القرن التاسع عشر، وهي كراس sarK وهو اسم منطقة ألمانية، عبارة عن هضبة من الحجر الجيري تحيط بمدينة ترايستي etseirT في شمال الأدرياتيك (الآن تقع على الحدود بين إيطاليا وسلوفانيا، وفي القرن التاسع عشر كانت جزءاً من الساحل النمساوي). وتستخدم الكلمة الآن لوصف الهضاب والكهوف الكلسية.

ولا حتى المخلص،
الذي سيكون دائماً إلى جوارك،
بوسعهم تأكيد وجودهم للأبد.

أعرف، ربما،
أنه يصبح محتملاً فقط
عندما أكون قادراً
على الالتزام بمهمتي
وأكون مهتماً بها،
منتبهاً ومتأنياً،
ويكون عقلي حاضراً بأطراف أصابعي.
فما هي المهمة
التي تتطلب وجودي؟
إنها ستتجلى
في إعجاب فطري بالناس
-إعجاب فطري بواحد منهم-
وبالانتباه إلى اهتمام ما
(حتى لو كان متخيلاً).

هذه المهمة، ليست كبيرة،
ليست خاصة، ليست استثنائية، ليست جبارة،
ليست حرباً، ليست هبوطاً على القمر،
ليست كشفاً، وليست أهم عمل في القرن،
ليست مقياساً للتميز، ليست عملية انتحارية لأحد الكوميكاز:
أشاركها مع الملايين،
ومع جيرانني كذلك

مع سكان أبعد بقاع الأرض
حيث مع المهمة المشتركة،
يتطابق مركز العالم،
مع مدينتي.

نعم، من هذه المهمة، عبر السنوات، ينبثق الأجل،
إنها عصية على الرؤية بطبيعتها،
لا تستحق الحديث حولها،
لكنها تستحق التشبث بها أثناء الكتابة:
ولذلك لا بُد أن تكون مهمتي الرئيسة.
لا بُد أن تكون حبي الحقيقي.
ولا بُد،
إذا كانت لحظات الأجل تنبثق مني،
وتمنح هيئة لوجهي المتيبس،
وتزرع قلباً بداخل صدري الفارغ،
أجربه سنوياً،
دون قيد أو شرط،
الحب.

* جزء من قصيدة طويلة ترجمها من الألمانية للإنجليزية (سكوت أبوت Scot Abbott).

(2)

آدم زجاجويسكي

متعة الفن والتاريخ

ولد آدم زجاجويسكي Adam Zagajewski، في 21 يونيو 1945، في مدينة لفوف البولندية؛ شاعر وروائي وكاتب مقالات، وحاصل على العديد من الجوائز الأدبية المرموقة. كذلك تمت ترجمة أعماله ونشرها في شتى أنحاء العالم.

زجاجويسكي.. ابن البروفيسور تاديوس زجاجويسكي؛ من رواد الإلكترونيات في بولندا (1912-2010). وبعد فترة قصيرة من مولده، عادت أسرة زجاجويسكي إلى بولندا في إطار الحدود التي تم ترسيمها وفقاً لمؤتمر يالطا.

وقضى زجاجويسكي طفولته في جلويتز، في منطقة سيلسيا، وقضى سنوات الجامعة في كراكاو. ودرس علم النفس والفلسفة في جامعة جاجيلونيان، ثم قام لاحقاً بتدريس دورات الفلسفة في الجامعة. كذلك عمل محرراً لدوريات (ستيودينت Student وأودرا Odra). وسرعان ما ذاع اسم زجاجويسكي كشاعر ضمن جيل (68)، وأطلق عليه "موجة كراكاو الجديدة". انطلق زجاجويسكي من مجموعة (تيراز- الآن) في كراكاو. ومباشرة بعد توقيع مجموعته الشعرية "رسالة 59- 59 fo retteL" في عام 1975، تم منع أعماله. وخلال سبعينيات القرن العشرين، التحق بحركة الأدب المستقل، وفي عام 1982 انتقل لباريس، ولم يعد لبولندا إلا في عام 2002، حيث يعيش الآن في كراكاو بصحبة زوجته الممثلة والمترجمة ماجا فوديكا Maja Wodecka. واليوم، هو عضو بهيئة تحرير صحيفة زيسزيتي ليتريكي الأدبية Zeszyty Literackie. وحصل على العديد من الجوائز، من بينها جائزة فيلنيكا Vilenica في عام 1996، وجائزة أديناوير Adenauer في عام 2002. وكذلك هو عضو في رابطة الكتاب البولنديين.

ولقد حاضر زجاجويسكي في العديد من ورش الشعر في كلية الآداب والفنون بجامعة جاجيلونيان في كراكاو، بالإضافة إلى دورة في الكتابة الإبداعية بجامعة هيوستون بالولايات المتحدة الأمريكية.

وجاءت مجموعاته الشعرية الأولى بمثابة مانفيسـتو لجيله في التعبير عن الحقيقة بشأن الواقع العام، وكشف الزيف في اللغة الرسمية.

وبعيداً عن قصائد هذه المجموعة، والتي كانت بمثابة رد فعل لفرض القانون العسكري، فلقد احتوت مجموعاته الشعرية المبكرة السمات المميزة لأعمال زجاجويسكي؛ التأمل وطرح الأسئلة. وفي نثره كذلك سمات مشابهة. ففي روايته (Warm and cold دافئ وبارد) قصة مثقف شاب يتعرض لمغريات حياة البالغين، وتعجزه الشكوك عن اختيار عالم المبادئ المطلقة، ليختار التطوع للعمل في قسم شرطة.

بينما في رواياته (Absolute / Cienka kreska / Thin Line and Słuch absolutny Pitch) يتم تناول المعضلات الروحية للفنان المعاصر. ويعد التعارض وتعددية الواقع من السمات الرئيسية في روايات زجاجويسكي؛ "أدركت أن العالم مزدوج، مقسم، رائع وتافه، ثقيل وخفيف، بطولي وجبان"، وذلك وفقاً لضابط شيوعي بوحدة من قصص المجموعة القصصية (مدينتان Two Cities).

أما روايته (Solidarity and Solitude - تضامن وعزلة)، 1986، فتقدم أمراض وضلالات ثقافة ما؛ في ارتباطها الوثيق بالتوجهات السياسية، وتسعى لمواجهة المعضلات التي يواجهها كتاب وفنانو اليوم.

كذلك فإن المقاطع النثرية والمقالات الصغيرة المتضمنة في (Two Cities) ورواية (In Beauty of Others the) إنما تقدم الرؤى والتأملات الفلسفية للكاتب حول قراءاته وخبراته عبر رحلاته في أوروبا. فلقد كتب زجاجويسكي عن كراكاو وباريس ومدن طفولته، وعن الأماكن الأسطورية لتعليمه في وسط أوروبا، وكذلك كتب عن نيتشه ويونج وبرونو شولتز وسيوران وجوتفريد بين، بالإضافة إلى تهديدات حضارتنا للحياة الروحية، والمفارقات الناتجة عن تزايد وسائل الإعلام وتناقض الرسائل التي يجب توصيلها.

ومن أقوال زجاجويسكي حول الكتاب؛ "لن أكتب مطلقاً عن غناء الطيور، رغم إعجابي الشديد بغنائها، لكنه لا يصل للحد الذي يجعلني أنسحب من العالم التاريخي، فالعالم التاريخي مذهل هو الآخر. فما يشغلني حقاً هو كيفية مزج العالم التاريخي بالعالم الكوني، العالم الساكن أو بالأحرى العالم الذي يتحرك بطريقة مختلفة تمام الاختلاف. لن أعرف أبداً كيف يمكن لهما أن يتعايشا معاً، فكلاهما يصارع الآخر ويكمله بالوقت نفسه، وهذا ما يستحق التأمل".

وفي عامي 2010 و2014، وردَ اسمه ضمن قوائم التكهّنات الخاصة بالترشح لجائزة نوبل في الأدب.

وقال عنه الشاعر الروسي جوزيف برودسكي: "من النادر أن تكون هناك متعة شعرية بمثل وضوح وقوة ما يحتويه شعر زجاجويسكي من متعة. فنادرًا ما يتاح للمرء أن يشهد مثل هذا الحوار المكثف بين متعة الفن وبين متعة التاريخ".

أما سوزان سونتاج فقالت عنه: "زجاجويسكي ليس محباً للجمال، فهناك سمات أسمى تضاف للشعر؛ تفضح تهافت الكتاب الذين يضعون الجمال قبل الحقيقة".

مختارات

اعتبارات خطيرة: دفتر مذكرات

لن أخبرك بكل شيء. فلا شيء يحدث فعلياً. فأنا أمثل رغم كل شيء، المدرسة الأوروبية الشرقية لإعمال العقل: نحن لا نناقش حالات الطلاق، ولا نستسلم للاكتئاب. وهكذا تمر الحياة في هدوء على جميع الأصعدة؛ خلف النافذة، السماء رمادية والطقس دافئ استثناء في ديسمبر. قليل من الحفلات الموسيقية. مطرب شاب مذهل يغني منذ فترة وجيزة في نادي المحامين. والليلة الماضية، كان هناك حفل موسيقي رائع يقدم موسيقى ديميتري شوستاكوفيتش (كذلك عزفوا مقطوعة وترية أهداها له كاتب سيرته كريزيستوف ماير).

عزفوا، ضمن أشياء أخرى، مقطوعة بعنوان "سبع رومانسيات" مستوحاة من قصائد ألكساندر بلوك، مقطوعة لم أعرفها مسبقاً. وكان العازفون من طلاب الأكاديمية الموسيقية، يتسمون بالحماس بالإضافة للتكنيك الرائع. أما العمل النهائي، المجموعة التي سبق وأشرت لها، تركت تأثيراً مذهلاً على إم M وعليّ. كان الحفل احتفاءً بذكرى الميلاد المائة للمؤلف الموسيقي، ولذلك اتسم بشيء إضافي، شحنة إضافية، فلقد أشعل الطلاب الشموع على خشبة المسرح

ولم يتم الإبقاء سوى على عدد محدود من كشافات الإضاءة. وبدا أنهم على درجة استثنائية من التركيز. وهكذا هي الحال مع الموسيقيين الشباب الذين لم يفسدهم الروتين الوظيفي، فالموسيقيون الشباب يعزفون باستمتاع، يعزفون بكامل أجسادهم وأرواحهم.

* * *

البهجة التي أشعر بها تقريباً كل مرة أجد نفسي فيها في ميدان كراكاو الرئيس، بغض النظر

عن الموسم أو الوقت من اليوم، فأنا أشعر بالذهول من فخامة المكان، طبقات الأبنية التكعيبية الغربية، التداخل بين التناسق واللاتناسق، المرح الإيطالي في (قاعة كلوث Cloth Hall) والرصانة القوطية لكاتدرائية ماريان، التي بدت كما لو كانت بناية عملاقة.

* * *

في صحف اليوم: تمّ شراء أرشيف زيجنيوف هربرت، بدعم حكومي، بواسطة مكتبة الدولة في وارسو؛ مقابل ملايين الدولارات. في الولايات المتحدة، يكون من حق المكتبة والكاتب (أو ورثته) أن يتفاوضوا على مثل تلك المسائل، لكن هنا يكون الأمر محل جدل عام محتدم.

بداية، سارعت مكتبة بينيكي في نيو هيفين لشراء مكتبة هربرت، لكن مجموعة من كتاب اليمين أطلقوا التحذيرات، محتجين (ليس بتجرد تام، كما بدا لي) ضد "استيلاء الأجانب على تراث شاعر عظيم"، واستمر ذلك حتى وافقت الحكومة اليمينية على التدخل لشراء المكتبة. زيجنيوف هربرت، الرجل الحر والشاعر المذهل، أصبح موضوعاً للمساومة السياسية.

* * *

أقرأ الآن مقال مايكل هوفمان عن جوتفريد بين شاعراً. وفي الوقت نفسه، كانت صحيفة وارسو للأدب في العالم، قد نشرت توأاً مختارات موسعة لقصائد بين، ورسائله ومقالاته، في عدد تم إهداؤه له ولبريخت. فكلاهما مات في عام 1956، وهكذا جمعتهما القاعدة التهكمية لذكرى الميلاد بعد موتهما بخمسين عاماً، كشاعرين لم يشتركا في أي شيء آخر غير ذكرى موتهما.

فلقد سخر بين من تطبيق النظرية الماركسية على الأدب، وذلك في مرحلة سابقة، خلال سنوات وصول هتلر للسلطة، وبسبب موقفه هذا تم عزله بتصنيفه كيساري، في مجال الأدب ببرلين، شغوف للغاية بالجمال محاصر بالمصلحين المذهبيين للبشر. ومن حين لآخر، كنت أعاد الاطلاع على قصائد بين، وكثيراً ما وجدتتها مشحونة وموترة، بالإضافة إلى بعض المقاطع في مقالاته؛ وتقريباً جميع رسائله للسيد أويزل، وهو تاجر من بريمن.

وهي رسائل مرتجلة، تهكمية نوعاً ما عند كتابتها، وعادة ما تتخللها لحظات تنوير من

الشعر النقي. بين، البرجوازي الفقير بامتياز، يعيش حياة متواضعة لحرفي (كان طبيباً، وكاتباً مسرحياً، لكنه لم يكن مطلقاً متأنقاً ولا ناجحاً مالياً)، أبدى إعجاباً بـ"أويزل"، والذي يراه مثلاً وفخراً بانتمائه لمستوى اجتماعي أرفع حقيقة مما لأويزل في الواقع، فلقد أصبح المنتفع من أفكار ونوبات غضب وملاحظات بين.

* * *

أقرأ الآن كتاباً ضخماً لكارل كورينو، يتناول سيرة روبرت موزيل، مؤلف: اعترافات تورليس الصغيرة، ورجل بلا صفات، والذي كتب خطبة رائعة عن موت ريلكه، وكان من أوائل من قدروا عظمته كشاعر. ووجدت في الكتاب نفسه نص الخطبة التراجي-كوميدي والتي قدمها في مؤتمر عام 1935 تحت عنوان دفاعاً عن الثقافة في باريس. ولم يكن لديه دليل على أن المؤتمر تم تنظيمه بواسطة الشيوعيين وأنه فقط من المسموح انتقاد نظام هتلر فقط، وليس الاتحاد السوفيتي.

لكن موزيل دافع عن الفردانية الفنية، وحذر من النمو الجمعي في عديد من الدول الأوروبية. وكذلك أصر على أنه لا رابط بين الثقافة والتوجهات السياسية؛ فجوهر الثقافة ينطوي على شيء ما هش، نزوي، غير قابل للتوقع، وحتى النظام السياسي المحترم لن يرغب بالضرورة في إنتاج فن عظيم.

وقوبل بالاستهجان من مجموعات ضمن حضور هذا المؤتمر الكبير، والذين توقعوا بيانات دعائية، لا تقيم اعتباراً للتأملات الموضوعية.

وكان لدى كورينو الكثير لقوله عن الفقر الذي عاشه موزيل، لدرجة أن الكاتب فكر في الانتحار وهو في الثلاثينيات، وذلك في لحظات لم يلح خلالها بارقة أمل مادي له أو لزوجته. وتعرض للهجوم من النازيين والشيوعيين سواء بسواء، ولا بد أن عنوان روايته "رجل بلا صفات" أغضبهما، خاصة أن كلتا المجموعتين كانتا تعملان لخلق نوع جديد من البشر يتمتع بصفات واضحة التحديد. وكان كلاهما "ممثلاً لعصر البرجوازية المنحلة". (ومؤخراً تم إدراك أن هذا العصر لم ينحط أبداً، أو ربما انحط لكنه عاود النهوض) لكن موزيل قضى سنواته الأخيرة في المنفى بسويسرا، حيث عاش في وضاعة أكثر مما قبل، وعانى الفقر

والعزلة. وكان توماس مان شخصية مهمة بالنسبة له؛ فلقد شعر موزيل بمزيج من الحب-الكراهية تجاهه.

ولم يعرف توماس مان سوى النجاح، حتى هجرته لم تكن كارثية. وخلال إحدى المناقشات، ارتعش موزيل بعصبية عند مجرد الإشارة لاسم مان. وقدم موزيل تعريفاً مذهلاً لرواية "الجبل السحري" لتوماس مان: العمل بمثابة "معدة قرش". وقصد بهذا أن رواية مان العظيمة تحمل بداخلها جميع أنواع البقايا غير المهضومة للأنظمة الأوروبية الموجودة فعلياً من أفكار ورؤى وغيرها. واتبعت رواية موزيل "رجل بلا صفات" قواعد مختلفة تمام الاختلاف: فهنا كل الإشارات للوقائع السياسية والفلسفية تأخذ سمة غير مباشرة تلميحية باطنية. وكان موزيل منجذباً لدلالة الاحتمال؛ لأي شيء من الممكن أن يحدث فقط في نوبة الغضب المقيدة. ويظل السؤال مطروحاً، فرغم ذلك، ربما كان مان محقاً في تضمين روايته الجبل السحري قدراً كبيراً من شذرات أفكار واقعية.

قصائد

على الطريق

1- بلا أمتعة

أن تسافر بلا أمتعة،
تنام في القطار
على مقعد خشبي جامد
تنسى وطنك
وتخرج من المحطات الصغيرة
عندما تتبدى السماء الرمادية
وتخرج قوارب الصيد للبحر.

2- في بلجيكا

كان الرذاذ يساقط في بلجيكا
والنهر يسري بين ربوتين.
شعرت أنني ناقص للغاية.
الأشجار قابعة في المروج
مثل كهنة في ملابس الكهنوت.
وأكتوبر مختفٍ بين الأعشاب الضارة.
لا يا أمي، هكذا قلت،
هذا الجزء للسكون.

3- صقر يحلق فوق الطريق السريعة

سيكون محبطاً لو انقضَّ
على صاج، أو على فراغ،
على شريط موسيقى صاخبة،
على قلوبنا الضيقة.

4- مون بلون¹

يلمع من بعيد، أبيض ومتحفظ،
مثل منارة للأشباح.

5- سيجيستا²

على المرج معبد ضخم
حيوان مفترس
مفتوح على السماء.

6- صيف

الصيف عملاق، منتصر
وتاهت سيارتنا الصغيرة
على الطريق إلى فيردن.

1. Mon Blanc: مون بلون، أعلى قمة ضمن سلسلة جبال الألب.

2. : معبد إغريقي قديم في صقلية.

7- المحطة في بيتوم

في محطة المترو
تنمو أعقاب السجائر،
وليس زهور الأقحوان،
إنها تغرق في الوحدة.

8- متقاعدون في رحلة خلوية

إنهم يتعلمون السير
على الأرض.

9- نوارس

الأبدية لا تسافر،
الأبدية تنتظر.
في ميناء صيد
وحدها النوارس لا تتوقف عن الصياح.

10- المسرح في تاورمينا

من المسرح في تاورمينا تلمح
الثلج على قمة جبل إتنا
والبحر الوامض.
فأيهما ممثل أفضل؟

11- قطة سوداء

خرجت قطة سوداء لترحب بنا
كما لو كانت تقول، تطلعوا إليّ
وليس لكنيسة قديمة رومانسكية الطراز
فأنا على قيد الحياة.

12- كنيسة رومانسكية

بقاع الوادي
تقع كنيسة رومانسكية:
هناك نبيذ في هذا البرميل الخشبي.

13- ضوء

الضوء على جدران المنازل القديمة،
يؤنّيه.
عابر سبيل، افتح عينيك.

41- عند الفجر

عند الفجر
مادية العالم
هشاشة الروح.

لا تدع لحظة الصفاء تتبدد
لا تدع لحظة الصفاء تتبدد
دع التفكير المفعم بالسعادة يدوم في هدوء
رغم أن الصفحة تكاد تكون ممتلئة واللهب يتأرجح
فنحن لم نصل بعد لمستوى ذواتنا
والمعرفة تنمو ببطء مثل ضرر العقل
وما زالت مكانة الإنسان معيبة
بأعلى باب أبيض
من بعيد، يتهاذى الصوت المبهج للترومبيت ولأغنية
مثل قطعة
فما يمر لا يضيع هباء
فما زال الوقود يلقم النار فحماً
فلا تدع اللحظة الصافية تتبدد
وعليك أن تنقش الحقيقة
في مادة جافة صلبة.

الخريف

دائماً يأتي الخريف مبكراً للغاية
فما زالت الزهور تتفتح،
والنحل ما زال يعمل بطريقة مثالية
وفجأة تومض في الحقول
زنايق الخريف الباردة
وتزمرج الرياح
ما مصدرها؟
لماذا يجب أن تدمر الأحلام، التعريشات والذكريات؟
يقتحم الغريب الغابات الساكنة،
يتزايد الغضب، ويتسلل البلاء،
تصاعد الأدخنة من الخشب، ويتعالى العواء الخشن الهمجي
ينتزع الخريف الأوراق، الأسماء، الفاكهة،
تغطي الحدود والطرق،
يطفئ القناديل والشموع، الخريف اليافع، يصبغ الشفاه بالأرجواني،
يعانق الكائنات الهالكة، سالباً وجودها.
يتدفق النسغ، دم القربان،
النبيد، الزيت، الأنهار الجامحة،
تمتلئ الأنهار الصفراء بالجثث،
وتستمر اللعنة: وحل، حمم، انهيارات، فيضان
الخريف اللاهث، منطلقاً، سكاكين زرقاء تلمع،

تحش الأسماء مثل العشب
بشفراتها الحادة،
قاسية في بريقها
لافحة أنفاسها
جيش أحمر، رعب، ورسالة مجهولة.

توازن

شاهدت القطب الجنوبي من أعلى
وفكرت في لا شيء، اللاشيء المحبب
تابعت تجمعات السحب البيضاء،
مساحات شاسعة بلا مجاز لخطو الذئاب
فكرت بك، وبالفراغ
الذي لا يمكن أن يعد سوى بشيء واحد فقط:
الكمال
وأن نوعاً محدداً
من الأرض اليباب المغطاة بالثلج
خرجت من فرط السعادة
وبينما تقترب من الهبوط،
لاحت الأرض من بين السحب،
حدائق كوميدية أهملها مالكوها،
عشب باهت مبتلى بالشتاء والرياح
وضعت كتابي ولبرهة شعرت
بتوازن مثالي بين اليقظة والأحلام
لكن عندما لمست الطائرة المهبط الأسمنتية،
استمرت في الدوران عبر مهبط المطار،
ومجدداً لم أعد أعرف شيئاً
فلقد عاودت الظلمة السماء ثانية، ظلمة النهار اللطيفة،
ظلمة الصوت التي تهتم وتقدر
تتذكر وتنسى.

حوار

المشرّد دائماً.. آدم زاجاجويسكي كل قصيدة هي خطوة نحو الوطن

• سلحفاة البحر، مصطلح صيني جديد، يُستخدم للإشارة إلى الناس الذين يعودون إلى وطنهم بعد رحلة لما وراء البحار، دامت لعدد من السنوات، حيث إن كلمة "سلحفاة" في الصينية لها إيقاع كلمة "يعود". ووفقاً لما سبق فأنت "سلحفاة بحر" لأنك عدت إلى بولندا بعد عشرين عاماً قضيتها في الخارج. ما شعورك وأنت تعيش في كراكاو؟ ما الفرق بينها الآن وبين المدينة التي عشت بها خلال سبعينيات القرن الماضي؟ وما المختلف في بولندا الحاضر غير أنها أصبحت دولة ديمقراطية؟ وما المختلف في المشهد الشعري البولندي الحالي؟

- يتكون سؤالك من مجموعة أسئلة صغيرة.. نعم بولندا الحالية دولة ديمقراطية بمعنى أن الأسرار أصبحت أقل. فالدول الشمولية لا تكشف عن خباياها. لكن ليس هناك شيء ملموس في الانفتاح الجديد. فربما من المبكر الآن القول بأن بولندا "الجديدة" تختلف عن "القديمة". هناك شيء واحد مؤكد: الحياة في بولندا الآن أفضل كثيراً مما سبق. فمنحة الديمقراطية ليست أسطورة، بل هي واقع. فالناس يتعلمون، ويستغرق الأمر أجيالاً لتعلم كيفية الاستفادة من هذه الهبة صعبة المنال.

وبالنسبة للحياة في كراكاو، فتعجبني. فهي مدينة متوسطة الحجم، لم تختنق (بعد) بالطرق السريعة والسيارات.

أما مركز المدينة القديمة فهو جذاب للغاية، حتى لو كنت مضطراً لمشاركته مع العديد من السياح في هذه الأيام.

كانت كليتي في هذه المدينة، وبالتالي هناك طبقات من الذكريات؛ تجعل من المدينة مكاناً مريحاً.

- في كتابك "مدينتان Two Cities"، تقسم الناس إلى "المقيمين، المهاجرين والمشردين". وتصف نفسك بأنك "المشرد". فهل ما زلت تشعر بأنك "مشرد" بعد عودتك إلى وطنك؟

وكما نعرف جميعاً؛ فإن المرء يشعر بأنه مشرد في وطنه والعكس صحيح. فما القوة الرئيسة التي دفعتك للعودة إلى كراكاو؟ لدى الصينيين القدماء قول مأثور "تعود الأوراق المتساقطة لجذورها"، لكن "العودة" هي المصير الوحيد لـ "المشرد"؟

- ما زلت مشرداً نوعاً ما. كنت مشرداً، دائماً مشرداً. أردت العودة لكراكاو لتذوق الحياة الجديدة في وطني القديم، لأكون قريباً من أصدقائي القدامى؛ ولقد كان أبي على قيد الحياة عندما غادرنا باريس للأبد.

وبالنسبة للمشرد، هناك العديد من الاحتمالات، جميعها تتطلب بعضاً من الرؤية الفلسفية. فبوسعك البقاء بالخارج، فلسفياً، لتصبح ملاحظاً أكثر منك مشاركاً، أو تستطيع العودة لتشاهد واقع وطنك فلسفياً كذلك. لأنه عند عودتك بعد فترة طويلة من الغربة، فلن تكون مطلقاً هناك بشكل خالص، فيومياً ستصحو في حيرة: أين أنا؟ لكن لا شيء مريع في ذلك.

- بالإضافة للمدينتين، الأولى حيث ولدت والثانية التي انتقلت إليها مع والديك وأنت في الرابعة من عمرك، لفوف 1 وجيلفيتز؛ عشت في برلين وباريس وهيوستو وشيكاجو وكراكاو. ففي أي من كل هذه الأماكن؛ تشعر فعلياً أنك في وطنك، ولماذا؟ وكيف أثرت تجربة العيش ببلاد مختلفة في كتاباتك؟ كيف تربط الموقع الجغرافي مع التقاليد الخاصة به؟

- كراكاو هي الأحب بالنسبة لي، إنها مدينة ملائمة لي. وبعدها تأتي لفوف؛ بوصفها مدينة تتسم بالغموض أكثر من الواقعية، وهذا يعني الكثير بالنسبة لي ولشعري. فهي بمثابة نبع للمعاني، لكثير من المعاني المحتملة. أما المدن الأخرى، فلقد قدمت لي، عندما أعدت زيارتها، نوعاً من البهجة. شعرت بالبهجة عند استعادة الأماكن التي قبل سنوات، كانت أماكن "حميمة" بالنسبة لي. فعند عودتي لباريس، وبعد نصف ساعة، شعرت بأنني لم

1. Lvov: لفوف (ليف). مدينة في جنوب شرق بولندا، احتلتها القوات السوفيتية في عام ١٩٣٩.

أغادرها مطلقاً: فكل شيء يبدو مألوفاً، على حاله، حتى الطرقات التي كنت أسلكها في جولاتي المسائية، ما زالت هناك بانتظاري...

- لقد أصبح الأدب البولندي مشهوراً للغاية منذ بداية القرن العشرين، وحصل أربعة أدباء بولنديين على نوبل في الآداب.

إنه تراث عظيم، لكنه بذات الوقت يمثل تحدياً كبيراً للأدباء الذين يكتبون في ظلالهم. فبينما يتم الحفاظ على أعلى درجات الاحترام لهم كأشخاص ولمستوى أعمالهم، كيف استطعت الحفاظ على صوتك الشخصي مختلفاً عنهم؟

- حسناً، عندما تقضي أياماً (أو ساعات بالأحرى) من الكتابة، والتفكير، فإنك لا تكون مشغولاً بالتفكير في الأربعة الحاصلين على نوبل، فقط من حين لآخر يخطر على بالك، وكذلك فأنت لا تستهدف "التقدير الدولي"، بينما أنت وحيد في حجرتك، محاط بكل شكوكك وأحلامك وخيالك.

وبالنسبة للجزء الثاني من سؤالك؛ لا أستطيع أن أقرر ما إذا كنت قد حافظت على خصوصيتي. وأعتقد فيما كتبته في مكان ما: لا نسمع صوتنا، فهو رغم كل شيء ليس موجهاً لنا، فنحن نتحدث إلى ناس آخرين.

- جيسواف ميوش، ضمن آخرين، كان له تأثير عظيم عليك وأنت شاعر شاب، ولقد حظيت بالاقتراب منه في كراكاو خلال السنوات الأخيرة من حياته. وخلال الاحتفال بالذكرى المائة لميلاده، ماذا تريد أن تشاركه مع القراء الصينيين؟

- وأعرف أنه من الصعب عليك، بعد عشرين سنة من معاشرته، أن تلخص ما تريد قوله في كلمات قليلة، لكنني سأظل أطلب منك ذلك، لأن له -كما تعرف- عظيم التأثير على الشعر الصيني المعاصر، من نفس الزاوية التي أثار شعره فيك؛ لأن "كل شيء كان مختلفاً عن... لغة "الجمهورية الشعبية" ..

بقدر ما أعرف عن ميوش، وفي هذه السنة صدرت سيرة حياته بالإضافة للعديد من

المقالات الجديدة والتأملات.. إلخ؛ أجده أكثر صعوبة لسبر أغواره. فلا بد أن عظمتة تكمن في الثراء المذهل لأعماله. ومن دلائل هذا الثراء، أنه مع الاحتفال بالذكرى المائة لميلاده هذا العام، أصبحت شخصيته أكثر تعقيداً. فبعد هذه السنة سنحتاج لخمس سنوات على الأقل كي نرتب وندرس الملاحظات والاكتشافات الجديدة المتعلقة به. فلقد كان صوته أصيلاً للغاية، قوياً للغاية، وجمعياً بشكل ما؛ ليصح وصفه بأنه كان يتحدث عبر العديد من الأصوات المستعارة. والدرس المختصر الذي بوسعنا الخروج به من أعماله، أنه لا يمكن كتابة الشعر دون التفكير والاستجابة للأسئلة المهمة للزمن الذي يعيشه الشاعر. فهناك ساعة أخلاقية تتخلق بداخل الشعر الثري.

- لنفس السبب السابق ولأسباب أخرى؛ لشعرك تأثير على الشعر الصيني كذلك. تعرف أننا نتشارك حصيلة لغوية من مرحلة الطفولة مثل حزب، طبقي أو لا طبقي، والكلمة الكبرى التي تبدأ بحرف C. وأكثر ما يثير اهتمامي هو كيف تطورت من شاعر سياسي إلى شاعر ناضج وفقاً للشروط الجمالية. فكيف نجحت في هذا التحول؟ هل الذهاب لباريس جعلك على مسافة من بولندا.. وهل هذه "المسافة" منحتك منظوراً أفضل؟

- لا، لا أظن أن المسافة الجغرافية هي ما منحني المسافة الروحية للـ (C)، مستخدماً شفرتك المحببة (مثلما كان يتحدث كفا في قصائده، باشمئزاز، عن جوليان الملحد). لا، بل كان اعتقادي بأن تلك الـ (C) قد انتهت تماماً أمام واقع الأفكار، قبل وقت طويل من موتها في العالم البرجماتي للسياسة، وستكون خسارة فادحة أن أقضي حياتي كلها في مواجهة وحش ميت. كذلك كان شعوري بأن "شعري السياسي" لم يكن قادراً على الإحاطة بجماع تجربتي. بالإضافة إلى شعوري بأن ذلك النوع من الكتابة لا بد أن ينتج أنياً أو لاحقاً (بل أنياً قبل لاحقاً) أشكالاً تقليدية، أكثر ما يستهدف الشعر من العوالم المادية.

- الوطن هو الوطن فقط عندما تفقده أو تكون بعيداً عنه. والآن عودتك لبولندا، هل جعلتك أكثر انتقاداً له مجدداً؟ فأنا أرى بورتريه هائل الحجم للينين في وارسو في عام 2010، وللحظة ظننت أنني عدت للصين. لقد ذكرني البورتريه الأحمر بشارات ماو التي يضعها العديد من سائقي التاكسيات الآن في الصين فوق المرايا الأمامية، وذلك تعبيراً عن

افتقادهم لنظام ماو عندما كانت الصين مجتمعاً غير طبقي، وكان الجميع من البروليتاريا الذين يعيشون في فقر لكن "سعداء". هناك حنين للماضي بين الطبقة العاملة في الصين، إذ خلقت النهضة الاقتصادية انفصلاً بين الأثرياء والفقراء. فيكيف الوضع في بولندا؟

- بورترية هائل الحجم للينين في وارسو في عام 2010؟ يبدو ذلك نوعاً من المفارقة الساخرة، أو الدعابة أو "العمل التركيبي" مثلما يفعل الفنانون الحداثيون هذه الأيام. فلا أحد (سوى حفنة من الغوغاء) يهتمون جدياً بـلينين في بولندا. فالوضع في بولندا أصبح منذراً بالتوجه أكثر لليمين. أعني، في لعبة الكراسي الموسيقية بين القوى السياسية في بولندا، اليسار هو الجانب الضعيف، والذي يحاول، دون نجاح حتى الآن، أن يعيد تعريف نفسه مجدداً. لكن، حسبما أعرف، ليست هناك نوستالجيا للـ(C) أكثر من الـ(G).

• إن هذا البورترية هائل الحجم يذكرني بقصيدتك "ماركس العجوز". كنت محتجاً على الشيوعية في شبابك، ومحبطاً من إدارة بوش كذلك، إلا أنك ما زلت غير معتنق للماركسية مثلما هو حال البعض. العالم معقد، ولم يعد هناك خط فاصل واضح بين الشرق والغرب بعد الآن، فماذا لدينا كشعراء لنتمسك به؟ بالطبع؛ الذات الداخلية هي ما نتأمله ونكتب عنه، لكن ماذا عن المسؤولية الاجتماعية؟ ما النصيحة التي تود توجيهها للشعراء من الأجيال الأصغر؟

- هذا سؤال شيق للغاية. فعلاً، لا توجد فلسفة عامة، ولا منظومة فكرية بوسعنا الاعتماد عليها والتمسك بها كشعراء ومفكرين وكمواطنين. وعندما نتطلع إلى تاريخنا، وربما لكلا التاريخين الغربي والصيني، لن نجد مثل هذا الوضع إلا نادراً. فعادة ما تكون هناك مبادئ ومعتقدات وديانات أكثر من الأطر الفكرية للأفراد. وهكذا، فماذا بوسعنا؟ ربما علينا بذل مزيد من الجهد أكثر من أسلافنا. علينا أن نقرأ للفلاسفة وعلماء اللاهوت، وقبل ذلك علينا أن نحدد لأنفسنا خارطة مفاهيمية عامة، وفي ظني، يجب أن يكون لدينا "إطار" مؤقت، فنحن بحاجة للاهتمام بالأخلاق، أن نكون أكثر حيطة من بعض أسلافنا فيما يخص الدعوة لأي نظام قوي. فبوسعنا أن نعيش دون أنظمة. وحقيقة، ليس لدي أي إجابة جاهزة لهذا السؤال. فأنا أعتقد في السعي الفردي، في إطار من الاحترام الهائل للقيم الروحية. فأنا

مسيحي، وأنا شخص تواق للكمال.. وبالنسبة لتوجيه نصيحة للشعراء الشباب، فبوسعي دعوتهم لمحاولة اكتساب المعرفة قدر المستطاع دون أن تبيع روحك لأي مذهب.

- تتحدث البولندية والروسية والألمانية والفرنسية والإنجليزية، وكذلك قمت بالتدريس في هيوستون وشيكاجو لسنوات متعددة، وقرأت قصائدك بالإنجليزية أحياناً، لكن لا تكتب الشعر إلا بالبولندية. وبالإضافة إلى حقيقة أن جوهر الشعر لا يمكن بلوغه إلا باللغة الأصلية، فهل هناك أي سبب آخر وراء كتابتك الشعر بالبولندية؟

ويحتفظ بعض الشعراء بهويتهم الإثنية والوطنية أو حتى بالحمية الوطنية عند الكتابة بلغتهم الأصلية، أو يدينون النزعة الوطنية باستخدام لغة جديدة. لكنني أعرف أن هذه ليست حالتك، فأنت أقرب كثيراً للانحياز الأدبي. ولكن كيف تفصل بين استخدام اللغة الأم وبين النزعة الوطنية؟ هذا سؤال مهم بالنسبة لي، لأنني لا أشعر بالانتماء لأي بلد رغم كتابتي بالصينية حتى لو عشت في أمريكا. ولا أعتقد في وجود النزعة القومية أو الوطنية تجاه أي بلد. ودائماً أتساءل كيف يستطيع الشعراء الحفاظ على اللغة دون الخضوع لفكرة "حب" الوطن. فهل هاتان النزعتان تعدان نوعاً من "الأعداء الأبديين" بمعنى ما؟

- لا أعتقد أن هناك رابطاً بين الكتابة بلغتك الأم وبين النزعة الوطنية. فالأولى شيء شكلائي، وعاء بوسعك أن تضع به أي محتوى. ولنتأمل ميوش الذي لم يهجر لغته الأصلية وفي الوقت نفسه كان عدواً ضارياً للنزعة الوطنية.

أكتب بالبولندية لأنني أتقنها، وبوسعي كتابة قصائدي أو مقالاتي دون العودة للقاموس، وكذلك بوسعي تذكر العديد من القصائد البولندية، المحببة إليّ. بالإضافة إلى إيماني بأننا مكونون من تاريخ بلادنا؛ النجاحات و/أو الإخفاقات والامتهانات عبر القرون الماضية والتي تترسب في عقولنا. بوسعنا تحرير أنفسنا منها بالكتابة لكن ليس بالقفز إلى لغة أخرى. أكره النزعة الوطنية تماماً مثل ميوش، لكنني أجد في تاريخ بلدي مرجعيات بوسعها معاونتي على فهم العالم.

فلا حاجة بك أن "تحب" بلدك، فمن الطبيعي أن تكون مهتماً به، لكن بوسعك (ويجب)

أن تنتقده بينما يمنحك القوة. وتبدو حالتك واضحة للغاية بالنسبة لي؛ فالحضارة الصينية قديمة وثرية للغاية، فكيف بوسع أي شخص أن يتبرأ من مثل هذا النبع الهائل؟

• "على الطريق En Route"، من ديوانك "أعداء أبديون"، مجموعة قصائد قصيرة جميلة. فهل كتبتها وأنت على الطريق؟ حسناً، تعجبني فكرة أن تكون على الطريق. إنها الحقيقة المجردة لخسارة الوطن الذي يمنحك هدفاً في الحياة، فكل قصيدة هي خطوة على الطريق نحو الوطن كما كتبت "اذهب إلى لفوف، فرغم كل شيء، هي موجودة، هادئة ونقية مثل خوخة. إنها كل مكان." حتى كراكاو، موطنك المادي في الحاضر، هي مكان مؤقت، أليس كذلك؟ وفي الوقت نفسه، فهي لفوف التي تجعلك تقدر كل مدينة عشت بها، أليس كذلك؟

أنت قارئة جيدة. نعم، لفوف مدينة مثالية بالنسبة لي، فقدتها للأبد، ولكنها حاضرة بقوة في بعد مختلف من الحياة. أكتب هذا في شيكاغو، في الهايد بارك، وهي الجامعة المجاورة، وسرعان ما سأعود إلى كراكاو، بعد أيام معدودات من المفترض أن أطيّر إلى برلين، لشيء يتعلق بجسواف ميوش، وهكذا فإنني، بمعنى ما، ما زلت على الطريق. (*)

(*) من صحيفة ، 13 أغسطس 2012. (أجرت الحوار مينج داي)

مينج داي Ming Di: ولدت ونشأت في الصين. جاءت إلى أمريكا للدراسة. شاركت في تأسيس وتحرير Poetry East West، وهي صحيفة أدبية تصدر بلغتين وتصدر في لوس أنجلوس ويكين. قامت بترجمة عديد من المقالات والقصائد من الإنجليزية للصينية وبالعكس. حصلت على منحة مؤسسة هنري لوسي للإقامة والترجمة في مركز أستوديو فيرمونت عام 2013-2014.

(3)

محسن حامد

كاتب هجين

شخصياته الروائية نماذج للبداوة الثقافية

ولد محسن حامد Mohsin Hamid عام 1971، وقضى جزءاً من طفولته في الولايات المتحدة الأمريكية بصحبة والده الذي وصلها في بعثة لدراسة الدكتوراه بجامعة ستانفورد. وبعدها انتقل مع عائلته إلى لاهور بباكستان حيث التحق بمدرسة لاهور الأمريكية.

وهو في الثامنة عشر، عاد للولايات المتحدة لاستكمال دراسته. وتخرج من جامعة برينستون في عام 1993 حيث درس تحت إشراف توني موريسون وجويس كارول.

كتب مخطوط روايته الأولى خلال ورشة عمل أدبية تحت إشراف توني موريسون. وعند عودته لباكستان بعد الانتهاء من الدراسة، عاود العمل على هذه الرواية.

التحق بكلية الحقوق جامعة هارفارد، وتخرج فيها عام 1997. ورغم أنه وجد العمل في شركة للمحاماة مملاً، فلقد عمل لسنوات في ماكنزي أند كومباني، في وظيفة مستشار إداري، لسداد قروضه الدراسية. وكان مسموحاً له بثلاثة أشهر سنوياً يتفرغ فيها للكتابة، واستثمرها في استكمال روايته الأولى "Moth Smoke".

وانتقل إلى لندن في صيف 2001، للإقامة بها عاماً واحداً فقط. ورغم تعدد زياراته لباكستان للكتابة، استمرت إقامته بلندن لثمانية أعوام، ليحمل جنسية المملكة المتحدة في عام 2006. وفي عام 2009 انتقل للإقامة في لاهور بصحبة زوجته زهره وابنتهما دينا.

والآن يقضي محسن حامد السنة بين باكستان وجولاته الخارجية، متنقلاً بين لاهور

ونيو يورك ولندن، ودول البحر المتوسط مثل إيطاليا واليونان. ولقد وصف محسن حامد نفسه بأنه "هجين"، وعن كتابته قال "من الممكن أن تكون الرواية حواراً بين الكاتب وبين نفسه". ووصلت روايته الثانية (الأصولي الكاره The Reluctant Fundamentalist) للقائمة القصيرة لجائزة مان بوكر لعام 2007، وكذلك اختارتها مجلة نيو يورك تايمز كأفضل رواية للعام.

البداوة الثقافية

عديد من الشخصيات في روايات محسن حامد يمكن وصفها بالبداوة الثقافية، فهي دائمة التنقل بين العالم الإسلامي وبين العالم الغربي الرأسمالي، الروحانية والمادية، الأوردية والإنجليزية، الريف الفقير والمدن الكبيرة شديدة الازدحام.

إنها منطقة انتقالية، ويمكن وصفها بالمنطقة المنسية، مألوفة للكاتب، الذي ولد في باكستان، ونشأ في شمال كاليفورنيا، وتعلم في برينستون وهارفارد، وأمضى وقته في نيويورك وسكن طويلاً في إنجلترا.

"الأماكن الأربعة التي دعوتها وطني عبر حياتي هي لاهور، لندن، نيويورك و كاليفورنيا. وهناك ارتباط قوي للغاية بيني وبين كل مكان منها" هكذا قال محسن حامد خلال محادثة تليفونية من شيكاغو الأسبوع الماضي، وذلك خلال جولة ترويجية يشارك فيها ببرنامج الحوارات المفتوحة للمكتبة المركزية.

والآن عند العودة للحياة في وطنه الأصلي لاهور، وهي مدينة حدودية باكستانية عدد سكانها حوالي 10 ملايين نسمة، يشعر محسن حامد بالراحة وهو يترك لخياله حرية التنقل بين العديد من الأماكن والأنواع بشكل متزامن. وأحدث دليل على ذلك روايته الجديدة (كيف تحقق الثراء الفاحش في آسيا الناهضة *How to Get Filthy Rich in Rising Asia*) والتي تبدو في هيئة كتاب تنمية بشرية من تأليف أحد عباقرة الاستثمار في وول ستريت.

ويختتم الرواية بالتهكم الذي يتجلى في عناوين الفصل الساخرة مثل (احصل على التعليم)، (تجنب المثاليين). ويتناول كذلك مراحل صعود شخص بلا اسم من الفقر للثراء، من كونه فلاحاً بسيطاً وعاملاً لتوصيل الأسطوانات، إلى صاحب شركة في مدينة ليست بباكستان تأكيداً.

وباستخدام ضمير المخاطب (أنت)، يبدو أن الكتابة تسعى لتقديم نفسها كحكاية لـ"هوارشيو

ألجر"¹؛ عن قسوة ووضاعة الواقع، أو يمكن القول بأنها "الآمال الكبرى"² في عصر الرأسمالية العالمية المتوحشة.

وبالإضافة إلى التركيز على تحقيق الثراء، لم تهمل الرواية الحب، خاصة الشغف الذي يشعر به الراوي الضمني تجاه فتاة جميلة.

وإذا كانت رواية "جاتسبي العظيم"³، ملحمة أخرى لرجل عصامي، بمثابة نموذج لرواية رومانسية أثرية، مزينة بفساتين المراهقات وقبعاتهن المصنوعة من القش، فإن رواية محسن حامد الثالثة؛ بمثابة وثيقة شعرية علمانية صوفية، وقصة تدور حول المحبوب الذي؛ حسبما كتب؛ تقترح استجابة "لهذا الوعد الذي نجد أنفسنا فيه".

وبقدر ما يكون ذلك الوعد محدداً، لا يجب التعامل مع محسن حامد أو كتبه، ومن بينها "Moth Smoke" (2000) "The Reluctant Fundamentalist" and (2007)، كمصدر للإجابات السطحية. فهي ذات صلة بالحب والأسرة والجنس والمخدرات وتوترات الشرق والغرب، ونقمة أهل الريف بسبب ما يعانونه من حرمان، والذي يؤدي إلى هجرة جماعية إلى المدن الكبرى، وكذلك التنافس النووي بين الهند وباكستان والاحتباس الحراري العالمي واستخدام الطائرات بدون طيار.

ورواية "Moth Smoke"، المستوحاة من رواية "السقوط" "The Fall" لألبير كامو، وتدور أحداثها في مدينة لاهور المتخيلة، تروي حكاية مصرفي سابق أحب زوجة أعز أصدقائه وأدمن تعاطي الهيروين وحياة الجريمة.

1. Horatio Alger: كاتب أمريكي في القرن التاسع عشر. اشتهر بوفرة إنتاجه، خاصة من روايات الناشئة التي تتناول حياة الصبية الفقراء وقصة صعودهم الاجتماعي للطبقة الوسطى من خلال العمل الجاد.

2. Great Expectations: الآمال الكبرى. رواية لتشارلز ديكنز. وهي نموذج للأدب الفيكتوري في القرن التاسع عشر. وتعد هي الرواية الثانية، بعد رواية "دافيد كوبر فيلد" التي تتم روايتها كاملة بضمير المتكلم.

3. The Great Gatsby: رواية للكاتب الأمريكي فرنسيس سكوت فيتزجيرالد، نشرت لأول مرة في عام 1925 وتعتبر هذه الرواية واحدة من كلاسيكيات الأدب الأمريكي، وإحدى أهم الوثائق الأدبية التي أرخت لعقد العشرينيات الصاخب Roaring Twenties، وهي فترة مفصلية شكلت نقطة تحول في حياة الأمريكيين، أخلاقياً ومادياً واجتماعياً، أطلق عليها فيتزجيرالد اسم عصر الجاز The Jazz Age، ليصبح المصطلح المعتمد في الدوائر الأدبية، الأكاديمية منها وغير الأكاديمية.

ولهذه الرواية الفضل في ذبوع اسم محسن حامد في مجال الأدب، وذلك بعد تخرجه بتفوق من جامعة برنستون (حيث درس تحت إشراف توني موريسون) وبعدها تخرج في كلية الحقوق بجامعة هارفارد.

وتبعتها رواية أخرى لا تقل عنها أهمية وهي رواية (الأصولي الكاره) والتي ظهرت في معرض لاهور للكتاب، وتدور أحداثها حول رجل باكستاني ملتج، يروي حكاية زائر أمريكي محطم وبائس لتعرض حياته الرائعة السابقة في مانهاتن للانهايار بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر. إنها مثل حكايات جراهام جرين الخرافية عن الجهاديين مقابل أجر والإرهابيين العقائديين بمختلف أنواعهم.

وهناك فيلم مأخوذ عن هذه الرواية، أخرجته ميرا نير Mira Nair ومن بطولة ريز أحمد Riz Ahmed، كيت هدسون Kate Hudson وكيفر سيزلاند Kiefer Sutherland وليف شرايبر Liev Schreiber، وتمّ عرضه ربيع 2013.

ورغم أن أعمال محسن حامد تتنوع في الأسلوب والمحتوى، فهناك حساسية مميزة مشتركة بين رواياته الثلاثة: دفء وسخرية، سمو ودنس، تهذيب وقدرة على كشف الأكاذيب والسخافات. "أظن أن هناك صوتاً مناسباً لكل قصة، وأحتاج لسنوات كي أصل إليه". ويكمل محسن حامد "إنه يبدو مثل ممثل ثانوي. فأنا أحاول أن أتحدث مثل الصوت الذي أرغبه، حتى أصل إليه".

وعن عودته للاهور قبل حوالي 30 عاماً، قال إنها أتاحت الانفصال عن دوامة الأدب في نيويورك ولندن، واستعادة التواصل مع الممارسات اليومية للحياة الأسرية متعددة الأجيال. وكان هذا بمثابة استعداد جيد لكتابة روايته "كيف تحقق الثراء الفاحش في آسيا الناهضة". وعن ذلك يقول "كُتبت هذه الرواية وأنا بنهاية الثلاثينيات، وكانت بمثابة نقطة وسطى في حياتي، فحينها كنت أعيش بمنزل، حيث توجد شقة بالدور العلوي، أعيش بها مع زوجتي وطفلي. وفي الدور السفلي كان يعيش والداي وكلاهما بنهاية الستين. ولقد ألهمتني هذه الحياة كتابة رواية تهتم بهذا المنحنى من الحياة وبالتغيرات الأسرية والأطفال والعجائز".

المصدر:

March 14, 2013|By Reed Johnson, Los Angeles Times

قستان

المدمر: هجوم اليعسوب

لم تسمعه أمي. كانت نائمة، وكانت تشخر مثل دب بني عجوز بعد عراك رهيب. ولا أعرف كيف تفعل ذلك. "فيما أنني أستطيع سماعها، فإن الوادي بأكمله لا بد يسمعها. فماكينات الشخير لديها تهدر الليلة".

لم يتبق الكثير منّا؛ أعني من البشر. فمعظم الأشخاص الذين تمكنوا من الفرار، فعلوا هذا، أو حاولوا الهرب دون اعتبار للنتيجة. ولا أعرف ماذا أصابهم. أما نحن فلم نتمكن من الهرب. فلقد فقدت أمي ساقها بسبب انفجار لغم أرضي، ولم يعد بوسعها المشي. وأحياناً تغادر الكوخ مستندة على عصاها. لكنها غالباً ما تمكث بالكوخ وترحف للتنقل داخله. كانت الأعمال المنزلية مهمة الفتيات، أما أنا فلقد أصبحت رجلاً الآن. أما أبي فقد مات. التهمته الماكينات. لم أر تلك الحادثة بعيني، لكن عمي حكى لي عنها. واصطحبني لأشاهد مراسم دفن أبي. لم يكن هناك شيء ظاهر من أبي لأتأكد أنه أبي. فعندما التهمته الماكينات لم يتبق منه شيء يذكر. فقط غضروف ممزوج بالصخور ومغطى بالأتربة.

تسللت للخارج. فلقد كان عمر ينتظرني. قال "ماذا أترك؟" إنه صبي في مثل عمري، لكنه أطول؛ فتصور أنه أكبر وتصرف على هذا الأساس، وسألني "هل أحضرتها؟"

قلت: "نعم"، وأخرجتها من تحت شالي. قطعة من مرآة، حصلنا عليها من السيارة البيك أب التي وجدناها مهشمة تماماً بجوار الطريق الرئيسية. وبدا الأمر كما لو أن شاحنة عملاقة قد سحقها. سألت عمر عن حجم الماكينات هنا، وأخبرني أنها أقل ضخامة مما تتوقع، خاصة الماكينات الموجودة حولنا هنا، أما بعيداً عن هنا، فهناك ماكينات أكبر، هناك في المناطق الجنوبية، ماكينات بوسعها السير. ضخمة للغاية، لدرجة أن كل خطوة لها تصدر صوتاً مثل الرعد.

في المساء، لم أتمكن من النوم أحياناً، فلقد ظننت أنني أسمع صوت ماكينات عملاقة قادمة. لكنها لم تأت أبداً. وغالباً لا وجود لها. لكن أخواتي يقلن إنه عند مجيء تلك الماكينات؛ ستقتل كل شيء. وقلن إنه يجب على المرء أن يفر عندما يسمع صوت تلك الماكينات وهي قادمة. لكن ماذا يعرفن، إنهن مجرد فتيات. وأحياناً يبيلن على أنفسهن خلال نومهن، ويتعرضن للضرب المبرح من أمي. مرة واحدة تبولت على نفسي، ولأنني رجل، لم تضربني أمي حينها.

لكن لا وجود لصوت الرعد الليلة، فقط هناك ذلك الصوت الآخر. صوت الماكينات التي تطير. ذلك النوع الذي عرفناه في هذه المناطق. لا إمكانية لرؤيتها ليلاً، وأحياناً لا مجال لرؤيتها بالنهار كذلك. فقط تسمعها طوال الوقت، تزمجر. وتخفي لأيام، وأحياناً لأسابيع، دون أن تسمع صوتها ولو مرة واحدة. ثم تعود ليبدأ الدفن. ولم يسبق لأحد في وادينا مطلقاً أن أتلّف ماكينة. لكنني أنا وعمر افترضنا أن لدينا فرصة للقيام بذلك عند شروق الشمس، كل ما علينا أن نتأهب ونكون في المكان المناسب.

أسرنا عبر الطريق نحو هيكل سيارة قديمة. مثل العظام كان هذا الهيكل. عظام برتقالية. كان مشقوقاً بأعلاه كما لو أن شيئاً هبط من السماء وانتزع بقبضته السائق من مكانه. وكانت الطريق ممتدة عبر هذه السيارة مباشرة، فلم تكن هناك أبواب أو عجلات. وكانت هناك طريق تالية لهذه البقعة لم يعد الناس يستخدمونها. طريق تقع بعد الصخور والطين الذي كان يستخدم في صناعة الأكواخ فيما سبق. أتذكر زيارتي لتلك الأكواخ. وكان هناك صبي يعيش هناك اسمه يوسف في الغالب. ولا يحب أحد التفكير فيما حدث له. فأن تلقي بنفسك من فوق جرف صخري أفضل من ذلك، حتى وإن أدى ذلك بك إلى الجحيم.

كان القمر بديراً، فتمكننا من الرؤية. واستمر عمر في النظر خلفه، وسألني: "هل رأيت ذلك؟"

"ماذا؟"

"غالباً، لا شيء".

الحق أقول، أنا لست مرتاحاً لوجودي بالخارج هنا ليلاً. فالذئاب تمر عبر هذا الوادي. معظم الوقت تمر دون حدوث شيء، إلا إذا قامت بافتراس مفاجئ لتجد نفسك وحيداً. وعندما تكون

صغيراً فعليك أن تكون حريصاً. لكن عمر أصبح طويلاً الآن، وربما تظنه الذئاب رجلاً. الناس أكثر خطورة من الذئاب. لكننا التزمنا الهدوء وأنصتنا بما لدينا من آذان جيدة. فالأخطر من الناس الماكينات. فإذا نجحت في قنصك بالليل، فلن يتمكن شيء من إنقاذك. خاصة إذا كنت في العراء. التقطت حجراً كبيراً بما يكفي ليملأ كف يدي، تحسباً لوجود الذئاب.

ليس بعيداً عن الأكواخ المهدمة، حاولنا دفع صخرة ضخمة بكل ما لدينا من قوة. ونجحنا في تحريكها رغم تعرض أصبعي الإبهام للجرح وسقوط قطرات دم منه. خلف الصخرة، كان هناك كيس من البلاستيك. وجده عمر. يبدو أن الصخرة قد تحركت عند حدوث زلزال ما.

داخل الكيس البلاستيكي كانت هناك بعض الملابس المتسخة. ملفوفاً بهذه الملابس وجدنا ما كنا نحتاج إليه. قطعة تشبه الكلاشينكوف؛ قطعة سوداء من المعدن (أنثى) مغلفة بالخشب البني وبها فتحة تركيب، وقطعة أخرى (ذكر) تشبه اليد السوداء بنهاية ذراع خضراء ومناسبة لفتحة التركيب. وعند تركيبهما معاً، تصبح مثل الدبور لكن دون جناحين. لم يسبق لأي منا استخدام واحدة مثلها، لكن طالما لك عينان فسوف ترى ما يكفي لتتأكد أن تلك الصخور بوسعها الطيران. ونتحين الفرصة للهجوم باستخدام ماكينة.

كانت القطع التي يتم تركيبها أخف من القطع التي يتم التركيب فيها، لذلك حملناها واحدة بعد أخرى. فحمل القطع كلها أصعب كثيراً مما يبدو عليه، خاصة عندما يكون عليك صعود قمة شديدة الانحدار حتى منتصف الليل. وكانت إحدى ساقي عمر أرفع من الأخرى، مما يجعله بطيئاً. لكن لم يشعر مطلقاً بحاجة للتوقف. فبوسعه أن يسير ليوم وليلة. لقد رأيته يقوم بذلك. حَلَقَت الماكينة فوقنا. كان الصوت يروح ويجيء. وعند وصولها، جلسنا ولففنا أنفسنا جيداً بشالينا فبدونا مثل الصخور الرمادية. وذات مرة بقيت لفترة فشعرنا بغضب شديد. وعندما امتدّ بقاؤها بدأت أتمتع مصلياً في هدوء فعلي. لكنها لم تنتبه لنا، وغادرت مجدداً.

كان القمر في مكانه هناك، لكن السماء خفت ظلمتها عندما وصلنا لقمة بلاك هيل. وجوار مجرى مائي مثل شق في الوادي، أخرج عمر بصلة وقطعة من الفجل الأحمر. ولم أكن قد تناولت الطعام من أمس، باستثناء الجذور التي سلقته لي أُمي. وددت لو خطفتها من بين يديه، لكن كانت له يدان مثل الحديد. وكذلك كان أعز صديق لي. قال لي "تعال، وخذ القضة الأولى"

قضمت الاثنتين. حاولت القيام بما علمني إياه أبي، فيجب أن تكون القطعة التي أقضمها أصغر من القطعة التي أتركها. لكنني لم أتمالك نفسي وأنا أقضم البصلة، والشيء نفسه مع الفجل الأحمر. لم يتابعني عمر متعمداً. كان جائعاً هو الآخر، لكن لم يرغب في جعلني أشعر بالسوء.

وضعنا القطعة (الذكر) في القطعة (الأنثى). كان الضوء بالسماء كافياً لتنتمكن من رؤية الماكينة، لكن لم يكن هناك شيء، وساد الهدوء. تحول لون ظفر أصبعي الإبهام للأسود. لم أفلق لذلك. كذلك كانت حركة عمر غريبة، فلقد كان يحجل مثل طائر، دون أن يقوم بثني ساقه المصابة. يبدو أنها أصيبت أثناء صعودنا. وشعرت بانزعاج شديد. لكن عمر لم يتحدث عن تلك الساق مطلقاً، لذلك لم أقل شيئاً. فالشمس ستشرق عاجلاً، وحينها علينا أن نسارع بدخول الكهف.

سارعت بالهبوط دون عمر ودون حمل أي شيء. كانت للكهف رائحة سيئة. وتساءلت هل وصل شخص ما ومات هناك. لم يكن بوسعي رؤية أي شيء من موقعي خارج الكهف، أو سماع أي صوت كذلك. كانت السماء صافية، والشمس مشرقة. بمرآة، عكست ضوء الشمس على بلاك هيل؛ كان عمر بعيداً عني لدرجة يصعب معها أن أحدد مكانه، لكنه قادر على رؤيتي رغم ذلك.

قبعيت في انتظار الماكينة. رغبت أن تصبح في حالة أسوأ مما أنا عليه. الآن، تأكدت أن خوفي يخرج أفضل ما بداخلي. ومن حين لآخر كنت أمسح يديّ على المرآة لتعرقهما. كانتا مبللتين مثل أيادي أخواتي عندما يشعرون بالرعب. وكنت أبلل المرآة بيديّ، ثم أمسحها بشالي، لتعود لامعة قدر الاستطاعة.

وعند سماعها، ألفت الشال بإحكام شديد لدرجة تكاد تزهق روعي، فأبدو مثل رجل يتم إجباره على إغلاق فمه لدرجة خروج أنفاسه مثل النخر من أنفه. صوت فظيع. صوت هادئ لكنه يعلو تدريجياً. وكانت السماء حالكة الظلام إلا من الطيور. وعندئذ لمحتها في مرورها لجوف الوادي. شعرت أنها اللحظة الأنسب للنوم داخل الكهف. لكنني تركت المرآة لتلتقط الضوء وتبدأ في الوميض. تقدمت الماكينة ببطء وفي خط مستقيم، لكنني ظننت أنني لم أقم بما يكفي عندما بدأت الدوران.

الماكينة شيء هائل الحجم، تجعلك تشعر بالضالة، خاصة وهي معلقة هناك، وتضرب عائلة بأكملها لترديها كاملة بكل بساطة. لكن حتى الماكينة لا تستطيع تدمير جبل، أو الطيران داخل

كهف، أو هكذا ظننت. فالبشر لا يلجأون للكهوف إلا بحثاً عن الأمان. زحفت خطوة للخلف نحو الكهف. آه، لقد لمحتني. وبدأ عقل الماكينة يفكر في ماهية ما تراه من لحم. بدأت تقترب نحوي الآن. تقترب مني وما زالت قريبة من بلاك هيل.

رأيت اللهب. وتابعت صاروخاً في مروره عبر السماء. لقد تأخر عمر للغاية في إطلاق الصاروخ. لكنه تجاوز الماكينة وسقط خلفها، دون انفجار. إنه قنبلة لم تنفجر. وتعالق دقات قلبي بعنف. كنت متأهباً للقفز داخل كهفي. لكنها استدارت. استدارت تجاه بلاك هيل. هذا مستحيل، كيف تستطيع أن ترى ما خلفها. يبدو أن للأشياء التي تطير عيوناً بالجزء الخلفي من رأسها.

استخدمت المرأة لإطلاق الإشارات عدة مرات، لكنها لم تلتفت لي. وتغير الصوت الآن. مثل كلب يغير نباحه بما يشير لتوجهه إليك. بدأت القفز لأعلى وأسفل، صارخاً قدر استطاعتي في الماكينة. تطلعت قدر استطاعتي تجاه قمة بلاك هيل، لكنني لم أرَ عمر، فهو صغير الحجم جداً والمسافة بعيدة للغاية.

قطع رأس

سمعت تحطم النافذة. ولم يكن هناك مكيف ليخفف من صدى الصوت. نهضت مغادراً السرير. تمنيت ألا أكون في مثل عمري. تمنيت أن أكون عجوزاً مثل والديّ، أو صغيراً مثل ابني. تمنيت ألا أكون مضطراً لأطلب من زوجتي أن تبقى في مكانها، مردداً أن كل شيء سيكون على ما يرام بنبرة صوت لا تصدقها ولا أصدقها أنا كذلك. كلانا سمع الصراخ بالدور السفلي. "ارتد بعض الملابس"، قلت لها، "سأكون بحال أفضل لو ارتديت بعض الملابس".

انقطعت الكهرباء، لذا استخدمت التليفون لإضاءة الطريق أمامي. وفعلياً كان هناك صوت رجل يجري صاعداً درجات السلم الخشبية. وإذا بالظلال تقفز وتمتد بفعل إضاءة العديد من الكشافات. رفعت كلتا يدي، وقلت "أنا هنا". رغبت أن أقولها بصوت مرتفع. لكنها خرجت مني مثل همس طفل "من فضلكم، كل شيء على ما يُرام".

ممدد على الأرض. لقد ضربني شخص ما. ولا أعرف هل ضربني بيده أم بعصا. كان فمي مملوءاً بسائل ما. ولم أستطع أن أنطق بأي كلمة.

كان فمي متيبساً، وكان عليّ أن أحافظ على فكي مفتوحين لأتمكن من التنفس. وخلف ظهري كان رسغاي مربوطين معاً. خمنت من ملمسه أنه شريط لحام كهربائي، ذلك النوع الذي تلفه حول كرة المضرب لاستخدامها في كريكيت الشوارع ونحن صغار. كنت مستلقياً على وجهي، وهناك ألم ساحق بسببه صدر عني بعض الضجيج قبل أن أفقد الوعي.

بين رجلين، كانا يحملاني من أسفل إبطي ويسحباني عبر الباب الأمامي؛ لم أكن أعرف كم مرّ من الوقت. الليل ما زال. عادت الكهرباء، ولذلك كانت مصابيح البوابة مضاءة. البواب ميت. رجل عجوز يتمدد مكوماً على نفسه. وجهه نحيف للغاية. بدا كما لو أننا كنا نجوعه. كنت مستغرباً كيف قتلوه. تطلعت نحوه، باحثاً عن أي دماء. لكن لا وقت لديّ.

أظن أنهم أربعة. لديهم سيارة تويوتا كورولا موديل 81 لونها نحاسي. كانت لدينا سيارة مثل هذه وأنا في مرحلة الصبا. لكن هذه قبيحة الشكل. فتحوا حقيبة السيارة وقذفوا بي داخلها. لم

أر أي شيء. كان معظم وجهي ملامساً لسجادة خشنة، وبقيته مستندة على الإطار الاحتياطي. التصق بي وربما أكون أنا التصقت به. كانت الاهتزازات عنيفة، وكل صدمة كانت تنتشر في السيارة كلها. تذكرت وجودي عند طبيب الأسنان، وكيف تشعر بالألم فعلياً وتعرف أنك ستشعر بمزيد من الألم، لكنك تنتظر وتحاول التفكير بألعاب ذهنية تجعل شعورك بالألم أقل.

شعرت بالحمى، حمى الملاريا، التي جعلتني أرتجف وأفقد وعيي من حين لآخر. تمنيت أنهم لم يقتلوا ابني وزوجتي ووالدي، وأنهم لم يغتصبوا زوجتي. وتمنيت أنه مهما حدث لي، ألا يلقوا ماء النار عليّ. بالتأكيد لا أرغب في الموت لكنني لا أمانع في حدوث ذلك، فقط لم أرغب أن أعرض للتشويه. لا أرغب في أن يقتل شخص ما خصيتي بكماشة ويقوم بإطفاء سيجارته في مُقلتي. ولا أرغب في أن تتوقف هذه السيارة، فلقد بدأت أعتاد عليها.

أخرجاني في ضوء الشمس. كانوا رجالاً ضخاماً، أضخم مني. اصطحبوني داخل منزل مقشر الطلاء، ووضعوني في حمام بلا نوافذ، سوى فتحة في السقف. وكنت قد تبولت على نفسي فعلياً، وثمة حكة في ساقي بسبب البول الجاف. لم يصدر عني أي صوت. جلست هناك متأهباً للتعاون. تمنيت لو تذكرت كيف أتلو صلواتي. فكرت أن أطلب منهم أن يتركوني لأصلي، لأريهم أننا غير مختلفين. لكنني لم أستطع المخاطرة. أعلم أنني سأقترف خطأ، وإذا لاحظوا ذلك، ستسوء الأمور أكثر. ربما بوسعي الاكتفاء بالهمهمة ليظنوا أنني متدين.

عادوا عندما حلّ الظلام. وتحدثوا بلغة لا أفهمها. لا أظن أنها العربية أو الباشتونية. ما هي؟ هل هي الشيشانية اللعينة؟ ما هي اللغة اللعينة؟ من هؤلاء الأشخاص الملعونون؟ وانهمرت الدموع من عيني. هذا حسن. فكلما بدوت مثيراً للشفقة أكثر، كان ذلك أفضل. وتوسلت قدر استطاعتي باللغة الأوردية؛ "ماذا فعلت؟ أتوسل إليكم" وكان عليّ أن أتحدث ببطء لأن فمي لم يكن على ما يرام. وبدوت كما لو كنت سكراناً، أو كما لو أن شخصاً قد قطع نصف لساني.

تجاهلونني. كان أحدهم يقوم بتثبيت كاميرا فيديو على حامل. وكان آخر يقوم بتوصيل وحدة إضاءة ببطارية محمولة بحجم بطارية السيارة. خشيت من شيء شعرت أنني معرض له. لا أرغب أن أكون عنزة، تلك التي نشترها في العيد الكبير. اعتدت أن أطعمها بعد المدرسة. وكنا نحفظ بها لمدة أسبوع. كنت أقوم بجمع أكوام من الحشائش الخضراء والتي تصبغ يدي

بخضرتها، وأطعم بها تلك العنزة. كانت عنزة لطيفة، لكن عينيها كانتا ميتتين. لم تعجبني عيناها. أعجبتني طريقتهما في مضغ الطعام على جانبي فمها. كانت مثل حيوان مدلل. لم أربت عليها، لكنها بدت لي مثل حيوان مدلل. كانت لها قدمان صغيرتان. كان بوسعها الوقوف على قطعة طوب لتصل للأوراق. ولقد سمح لي والداي أن أشاهد أحد الرجال وهو يطرحها أرضاً قبل أن يتلو بعض الصلوات ويقدمها أضحية للرب.

"انتظر، لا تفعل هذا" تحدثت بالإنجليزية الآن، بلا مبالاة ودون أي انفعال. بدت الكلمات كما لو كانت تساقط من فمي. لم أستطع منعها. كانت تساقط مثل الدموع؛ "كنت دائماً رقيقاً على نفسي. لم أكتب مطلقاً عن الدين. اخبرني عن أي شيء أكتب. لا فرق لدي، ليس مهماً، نحن الشيء نفسه، جميعنا. أقسم لك".

وضعوا الشريط اللاصق على فمي، وطرحوني أرضاً على معدتي. وقف أحدهم خلفي وقام بجذب رأسي لأعلى من شعري. بدت الطريقة التي فعل بها هذا جنسية. تساءلت هل ما زالت زوجتي على قيد الحياة، وما إذا كانت ستضاجع رجلاً غيري بعد موتي. كم عدد الرجال الذي ستقوم بمضاجعتهم؟ أتمنى ألا تفعل. أتمنى أنها ما زالت على قيد الحياة. أستطيع رؤية السكين الطويلة في يده. كان يتحدث للكاميرا. لم أرغب في المشاهدة. أغلقت عيني. رغبت في القيام بشيء ما يجعل قلبي ينفجر لموت الآن. لا أرغب في البقاء على قيد الحياة.

عندئذ سمعته. سمعت صوت دمائي تتدفق. فتحت عيني لأراه على الأرض، كان مثل الحبر. تابعت وأنا أحتضر، قبل أن أصبح فارغاً.

ميخائيل شيشكين

ما بعد الحداثة الروسية

ولد ميخائيل بافلوفيتش شيشكين Mikhail Pavlovich Shishkin في 18 يناير 1961، في موسكو. ودرس الإنجليزية والألمانية في معهد بيداغوجيكال الوطني في موسكو. وبعد تخرجه شغل الوظائف التالية: عامل نظافة، وعامل في إنشاء وصيانة الطرق، وصحفي ومدرس ومترجم.

عُرف ككاتب عام 1993، عند نشر قصته الطويلة "درس الخط" في مجلة زناميا Znamya. ومنذ عام 1995 انتقل للعيش في زيورخ، بسويسرا. ويقوم بنشر كتاب واحد كل خمس سنوات. ولقد تمت ترجمة كتب شيشكين لأكثر من 10 لغات. وحظيت كتاباته بالإعجاب والإطراء، لما تتميز به لغته من صفاء وإيجاز. دون تكلف بمحاولة محاكاة اللغة القديمة، فإن لغته تكاد تضاهي تجريبية لغة تولستوي وديستوفسكي (وكلاهما كانت علاقته باللغة الروسية تعاني صعوبة) دون إهمال لرصانة بوشكين.

وتعالج موضوعات كونية مثل الموت والبعث والحب. ولقد تمت مقارنة شيشكين بالعديد من الكتاب الكبار مثل أنطون تشيخوف، وفلاديمير نابوكوف وجيمس جويس. ويعلن أنه قد تأثر بتشخوف وتولستوي وإيفان بونين "علمني بونين الابتعاد عن الحلول الوسط، والثقة بالنفس. أما تشيخوف فلقد تعلمت من شعوره المرهف بالإنسانية أنه لا توجد شخصية سلبية بشكل مطلق. ومن تولستوي تعلمت خشية أن أكون أبلهاً."

له العديد من الكتب من بينها:

- "Calligraphy Lesson", novella (1993)
- One Night Befalls Us All, novel (1993)
- Blind Musician, novella (1994)
- The Taking of Izmail, novel (1999)
- Saved language, short story (2001)
- Maidenhair, novel (2005)
- Pismovnik ("Letter Book"), novel (2010)

الجوائز التي حصل عليها:

- جائزة بوكر الروسية Russian Booker Prize، عن روايته "The Taking of Izmail"، 2000.
- جائزة الكتاب الكبرى Big Book Award، عن روايته "Maidenhair"، 2000.
- جائزة أفضل مبيعات الوطنية National Best-Seller Prize، عن روايته "Maidenhair"، 2006.
- جائزة الكتاب الكبرى Big Book Award، عن روايته "Pismovnik"، 2011.
- جائزة الأدب الدولية، عن الترجمة الألمانية لروايته "Maidenhair"، 2011.
- القائمة القصيرة لجائزة أفضل كتاب مترجم، shortlist Best Translated Book Award، عن رواية "Maidenhair"، 2013.

مختارات قصصية

لا نستطيع الحياة بهذه الطريقة

المنزل على الشاطئ مباشرة، لميناء ماسا لورينيز الصغير للغاية. وفي الطقس الجيد، من الممكن رؤية كابري إلى اليسار، وفيسوفوس إلى اليمين.

وفي ذلك اليوم، لم تكن كابري أو فيسوفوس منذ الصباح، ولم يكن هناك شيء لتفعله سوى التجول حاملاً المظلة أو القراءة.

خرجت إزولدا في تمشية بصحبة ابنها، وأخرج المترجم من صندوق السيارة الخلفي حقيبتين ورقيتين "ماركة ميغرو" مملوءتين بالكتب التي سبق واختارها من المكتبة الخاصة بالحلقة الدراسية السلافية وذلك قبل رحيلهم.

من نافذة المطبخ بوسعك أن ترى كم هما صغيران، المرأة والطفل، على الشاطئ، وكم هي قوية ضربات المد.

قام المترجم بمسح قطرات المطر عن غلاف الكتاب الأول بالحقيبة، والذي تبين أن عنوانه "حياة القديسين الروس". تصفح الكتاب حتى وصل إلى سيرة القديس أنتوني الروماني Antony the Roman، واستغرق في قراءة تاريخ الإيطالي الذي أصبح العامل المعجزة في نوفجورود.

"ولد المبجل أنتوني الروماني في روما عام 1607 لوالدين ثريين، وتربى في كنفهما على التقوى وطاعة الوالدين. وفقد والديه في فترة مبكرة من حياته، ليهب بعد ذلك كل ميراثه للفقراء، وينطلق في جولة بحثاً عن حياة الفضيلة، لكنه أينما حل لم يجد سوى الأكاذيب والشهوة والظلم. لقد بحث عن الحب ولم يجده".

وأصبحت المرأة والطفل أصغر وأصغر، حتى أصبحا مثل قطرة مطر على الزجاج.

"ذات يوم، استلقى على الأرض بين الزهور، وشاهد شيئاً أبيض يعبر على زهور البيتونيا الحمراء؛ إنه سرب من النمل يدفع ملكة النمل. وعند سماع دقات الساعة، ارتعد أنتوني، فلقد أهدر نصف عمره. وبالطريقة نفسها من الممكن أن ينشغل الرب بشيء أو مخلوق ما، أو صوت جرس ما، مثلما يتحول اللبن إلى جبن قريش".

"وعندئذ، في يأس وبقلب ممتلئ بالحزن"، استكمل مؤلف كتاب حياة القديسين في ورسيا؛ "غادر أنتوني المدينة. رحل دون عودة، وسار ليل نهار حتى وصل إلى شاطئ البحر.

حيث لم يكن بوسعه أن يذهب أبعد، فاستلقى على صخرة ضخمة خارجة من البحر. ثم وقف على هذه الصخرة ليوم كامل، مولياً ظهره ناحية المدينة التي غادرها، وتطلع ناحية البحر. وعند حلول الليل، ظل فوق الصخرة دون حركة. وهكذا وقف فوقها ليوم وليلة آخرين، ثم أسبوع، وأسبوعين، وشهر.. حتى انفصلت الصخرة فجأة عن الشاطئ وطففت فوق سطح البحر".

وبعد ذلك، ذهبت الأسطورة إلى أن التيار حمل الصخرة وأنتوني وطاف بهما حول أوروبا، ثم قذف به على شواطئ نهر فولكوف. وبعد ذلك، اكتسبت حياته سمة مبتذلة ببعض معجزات الشفاء وغياب الفساد، لكن كل ذلك تلاشى أسفل قشرة فضية في عام 1933. فقط تبقى فرع نبات بردي في يد أنتوني، أحضره معه من روما.

عندئذ، عادت إيزولدا وقالت غداً سترحل والصبي، لأنه من المستحيل الحياة بهذه الطريقة أكثر من ذلك.

كانت إيزولدا والمترجم قد قررا الانتقال لهذا المكان الخاص لقضاء عطلة في محاولة لحماية أسرتهما.

لكن الحقيقة، لم تعد هناك أسرة، فحياتهم بشقة واحدة، تحولت إلى حالة من النفور والتنغيص. فكل ليلة، تضع إيزولدا لينام بينهما في السرير. والشيء نفسه فعلته أم المترجم ذات مرة، فلقد اصطحبته لينام معها على الكنبة في شقة بالبديروم بزقاق ستاركونشيني، وهكذا فإن الطفل الذي من المفترض أن يجمعهما، أصبح حاجزاً، جداراً، حداً بينهما.

قرر المجيء هنا، إلى ماسا لوبرينيز، لأنهما قضيا عطلاتهما هنا منذ أعوام قليلة قبل هذا المطر. كان كل شيء مختلفاً. كانت كابري إلى اليسار طوال اليوم، وكذلك كانت فيسيوفوس إلى اليمين. كذلك كان من الممكن رؤية قوارب الصيد بمجرد النظر من نافذة حجرة النوم. كل ليلة، كان الصيادون المحليون يبحرون، وفي الصباح يعودون بالسماك الطازج وفواكه البحر (الجمبري والسيب..)، والتي كان ابنهما يخاف عند رؤيتها حية وتتحرك.

كان البحر هادئاً، ويبدو معلقاً بالأفق كما لو كان معلقاً بحبل غسيل.

كانت الأمطار تسقط من حين لآخر، لكن لفترة قصيرة وساخنة، وسرعان ما يتلألأ كل شيء ويتصاعد منه البخار. وذات مرة، قام ابنهما بالحفر في حوض زهور مبللة بعد تساقط الأمطار، وفجأة قال إن ديدان المطر هي أمعاء الأرض.

كانوا يسبحون كل يوم. وأحياناً كانت تقذف للشاطئ كتل من الطحالب وقشور لزجة، لكن عند السباحة متجاوزاً ذلك، ستجد شيئاً مختلفاً تماماً في انتظارك لتحيته، فهناك شفافية تعيش في الماء والسماء، وبوسعك أن ترى كيف تحرك الريح أشجار العنب، وكيف يتلألأ في ضوء الشمس خشب البلوط الذهبي المستخدم في بناء الكنيسة. تناول المترجم وإيزولدا الغداء في مطعم على الشاطئ حيث كان الطفل يقوم بشطف المكرونة الإسباجتي بنفسه. وكان مجهداً بعد يوم طويل من اللعب، فنام على الفور في مقعده ووضع رأسه على المنضدة، وكانا يمضيان وقتاً طويلاً في تناول نبيذ "لاكريما كريستي" من منحدرات فيسيوفوس، وينصتان لشخير الطفل النائم، وتلاطم الأمواج.

كانت لهما شجرتهم الخاصة، شجرة دلب، وقبل الذهاب للنوم، كانا يمرران أصابعهما على لحائهما الناعم، وكان الهواء يصبح ألطف في الظلام، ورغم ذلك يظل لحاؤهما دافئاً.

وفي الليل، كانت الأضواء مرئية باتجاه نابولي، فبدأ المشهد كما لو كان هناك عش هائل من حشرات سراج الليل المرفرفة على الجانب الآخر من البحر، فيما وراء المياه المظلمة.

بدأت النجوم ضخمة ومنثورة عشوائياً في السماء وقريبة من الأرض.

ربما لم يكن على المترجم وإيزولدا أن يعودا لـ "ماسا لوبرينيز" مجدداً.

فلقد قررا، مثلما قالت إيزولدا، أن يمنحا أسرتهما فرصة أخيرة. وهكذا فلقد كان واضحاً من البداية أن المغامرة فشلت؛ فلقد تعاركا مجدداً حول نافذة مفتوحة، بينما كانوا عالقين في إشارة مرور خارج نفق سان جوتارد، ليكملا بعدها الطريق صامتين.

تلك الليلة، تبادلا الحديث حتى الثالثة صباحاً، نفس الشيء القديم، كلمات بلا معنى لا يحتاجها أحد، ثم حاول المترجم أن يستسلم للنوم في حجرة الطعام على كنبه مريحة، واضعاً وسادة فوق رأسه حتى لا يسمع نشيج إزوالدا.

في الصباح، لم يقويا على الحديث أكثر حول أي شيء. وشعر الطفل أن عالمه يتداعى، وجلس في الزاوية مختبئاً في هدوء يرسم شيئاً ما. وانسكبت المياه من البرطمان الخاص به، وبأصبعه مد المسارات المتسخة على الورقة المبللة المجعدة.

وبعد الإفطار، خرجت إيزولدا في جولة معه، وعاد المترجم لاستكمال قراءة حالات الشفاء المعجزة ودلائل عدم الفساد.

بعد ذلك عادا من الشاطئ. قام الابن بتشغيل التلفزيون وبدأ مشاهدة أفلام الكارتون، وقالت إيزولدا إنها والطفل سيغادران غداً، لأنه من المستحيل الحياة بهذه الطريقة أكثر من هذا، وطلبت من المترجم أن يغادر لكان ما الآن، لأنها لم تعد قادرة على التواجد بنفس المنزل معه، لم تعد قادرة على التواجد معه بذات الحيز.

ردّ المترجم، حسناً، فعلاً من المستحيل الحياة هكذا، وأنهم جميعاً سيغادرون صباح الغد، وأنه هو الآخر غير قادر على التواجد معها بنفس الحجرة. عندئذ، صدر عن الطفل، الذي كان مقرصاً في المقعد أمام التلفزيون، صوت للنشيج أقرب. أراد المترجم أن يخبر إيزولدا أنهما اتفقا على عدم قول أي شيء أمام الطفل، لكنه أحجم، فلا فائدة من ذلك. ولتجنب قول أي شيء آخر، سارع بالمغادرة، وحرص على إغلاق الباب خلفه ببطء وهدوء. لم يعرف المترجم أي مكان يقصد، فلقد كانت الأمطار تسقط بين الحين والآخر. وشعر أن الناس يتطلعون إليه من نوافذ منازلهم، ورغب لو أن هناك مكاناً معزولاً، لا أحد به، ولا يقصده أحد.

وجد المترجم نفسه عند الجراج، فركب سيارته وتوجه إلى سورينتو. وفي منتصف المسافة، كان هناك مكان محدد حيث تمتد الجروف بعيداً داخل البحر، ليصبح من الممكن السير عليها. وفي مثل هذا الطقس، لم يكن هناك أحد بالتأكيد. وكان عليه أن يعود للقريبة. وعلى الطريق، كانت بعض أبواب المنازل تفتح على الشارع مباشرة، فكان يتوقف ليشاهد كيف هي حياة الإيطاليين، فلم يكن هناك مداخل على الإطلاق، حياة الأسرة تبدأ بعد الباب مباشرة. كانت هناك امرأة عجوز ترتدي السواد ولها يدان مريعتان شوههما العمل، كانت جالسة تتابع مرور السيارة، وخلفها وميض التليفزيون.

وكان من الممكن سماع أصوات الأطفال عبر النوافذ. وكان هناك شخص ضئيل الحجم غبي، يرتدي تي شيرت أبيض وبنطالاً رياضياً، يعدو عبر الشارع مرتدياً شبشب، ويحمل كسرولة يتصاعد منها البخار تحت المطر.

في كل منزل هناك أسرة، وأحياناً أكثر من واحدة. فكيف يستطيعون الحياة معاً؟

لا يستطيعون ذلك فعلاً! فخلف كل نافذة، هناك شخص ما قال أو سيقول قريباً أو بعد حين؛ لا نستطيع الحياة بهذه الطريقة، يجب أن نفترق لأنني لم أعد قادراً بعد الآن على البقاء في الحجرة نفسها معك. والآخر أجاب أو سيجيب: حسناً، أنت على حق، فعلاً من المستحيل الحياة هكذا. وعلى مقربة، في كرسي ذي ذراعين تكور طفلهما، وبه رغبة جارفة أن يصبح أصغر كثيراً وأعمى وأصم مثل وسادة، حتى لا يرى أو يسمع أي شيء.

وعندما هبط المترجم الطريق المبتلة الزلقة باتجاه البحر، اتجه مباشرة نحو الجروف الصخرية، وفجأة رأى شخصاً ما؛ واقفاً هناك حيث تنكسر الأمواج على الصخور. امرأة قصيرة القامة بدينة؛ ترتدي معطف مطر من البولستر؛ لونه أرجواني وعلى رأسها قلنسوة.

تطلعت للخلف باستياء، بطريقة توحى بأنها أرادت أن تقف هناك وحدها، وأنه سيحول دونها وتحقيق ذلك.

بدا وجهها مألوماً له.

قال المترجم: "مساء الخير!" ودون رد رحلت.

وتجول المترجم قليلاً من جرف لآخر، لكن المرأة لم تكن قد رحلت، وظهر جسدها الأرجواني غير المتناسق في الماء، بشكل لا يمكن أن تخطئه العين رغم بشاعته.
كان بوسعها على الأقل أن ترد بإيماءة.

لقد جئت إلى هنا كي أستريح، وإذا بي مجدداً أعترض طريق شخص آخر!
وعندئذ استقر المترجم على أنه ليس هو من ضايقها، لكنها هي من ضايقته، وقال لنفسه:
سأقف هنا بمفردي حتى يرحل معطف المطر الأرجواني.

وقف مائلاً بجسده باتجاه معاكس للجرف الصخري في محاولة لاتقاء الريح، وفكر في المرأة وبمن ذكرته. فلقد سبق له ومر بتجربة مقابلة نسخ أخرى من معارفه في موسكو ببلدان مختلفة.
فالشخص نفسه يعيش ببساطة في عالم موازٍ. حتى المترجم نفسه لا بد أنه كان يتجول في شوارع مدن مختلفة في هذه اللحظة.

صوت الرياح وتلاطم الأمواج صمّ أذنيه. وبدأ الظلام يحل.

وفجأة أدرك المترجم بمن ذكرته المرأة في المعطف الأرجواني. لكن هذا من سنوات عديدة مضت، ولهذا لم يستطع تذكرها.

إنها تشبه الفتاة التي كانت تنام دائماً في وضع محدد، كما لو كانت تسبح بأسلوب الكرول.
كذلك كانت الفتاة محرّجة من نهديها، فلقد كان صدرها مغطى بجلد يشبه جلد الضفدعة، كما لو أنه لم يكن هناك ما يكفي من الجلد البشري، مما جعلهم يلصقون أي جلد متاح لهم. إنها الأميرة الضفدعة.

وقطعت هذه الفتاة أوردتها ذات مرة، ومرة أخرى أغلقت بينه وبينها باب الحمام وابتلعت كمية كبيرة من الأقراص، وذلك عندما كانا في التاسعة عشر. وعندما استدعى عربة الإسعاف، سألوه: "ماذا لديك، جمال نائم آخر؟" ولم يفهم، لأنه لم يكن يعرف أن عمال عربة الإسعاف يطلقون هذا الاسم على الفتيات اللاتي يبتلعن الحبوب المنومة. كذلك فإن الطبيب الذي ضمد ذراعيها، قال بابتسامة متكلفة: "في المستقبل، إذا أردتِ جدياً أن تنهي حياتك، فلا تقطعي بشكل عرضي، اقطعي بطول الوريد". كان من اللازم تنظيف أرضية الحمام والمدخل، فلقد تساقط

الدم في كل مكان، وكذلك طالت القذارة كل الأشياء النظيفة المرتبة، حيث إنها كانت مباشرة في وسط ذوبان الجليد. وبعد سنوات عديدة، قامت الأميرة الضفدعة بقطع معصمها وفقاً للطريقة المفترضة، بطول الوريد.

وأصبحت الريح أشد وأعنف. وبدأ سقوط الأمطار مجدداً. وشعر المترجم أنه مبتل تماماً ويرتعد. وكان الظلام يحل سريعاً أمام عينيه المفتوحتين، كما هي الحال في الجنوب فقط. ولمع معطف المطر الأرجواني غير المتناسق على صفحة ماء البحر عند نفس الصخرة، في صراع مع العاصفة.

وفجأة، رغب المترجم في العودة للبيت بأسرع وقت ممكن حتى يتمكن من قص الحكاية كاملة حول الأميرة الضفدعة، وحول وقوفه هناك ومشاهدته لبداية العاصفة.

كذلك رغب في مشاركة ابنه لعبة ما، وأحضروا معهم صندوقاً ممتلئاً بكافة ألعاب الطاولة، وهكذا تتجلى رغبته في بيت دافئ وحميمي.

شعر أنه لا بد أن يعود، ويتقبل الوضع، وينسى كل الأشياء السيئة التي حدثت، وأن يتمددًا هناك متعانقين بقوة خلال الليل وينصتان لصوت العاصفة.

وفي الصباح، ستشرق الشمس مجدداً، كما تفعل الآن، وسيعود البحر للتهادي بامتداد الأفق الصافي.

وبدأ المترجم صعود ما يشبه الدرج المبلل الزلق المنحوت في صخر الجرف. وبينما كان يتسلق، كان الظلام قد أصبح دامساً، لكن معطف المطر الوامض ظل في انتظار شيء ما.

انحنى الطريق، وتطلع المترجم للمرة الأخيرة تجاه البحر. وإذا بالصخرة ذات البقعة الأرجوانية تنفصل عن الشاطئ وتطفو مبتعدة.*

(*) قصة قصيرة، ترجمتها من الروسية للإنجليزية: جامي جامبريل Jamey Gambrell

درس الخط

الحرف الكبير، يا صوفيا بافلوفنا، هو بداية كل البدايات، لذا فلنبدأ بذلك. بوسعك قول إنه مثل النفس الأول، صرخة المولود. فمذ لحظة مضت لم يكن هناك شيء. لا شيء مطلقاً. خواء. ومذ مئات أو آلاف السنين ربما لم يكن هناك شيء، لكن فجأة هذا قلم، خاضع لإرادة عليا قاهرة، يقتضي أثر حرف كبير، والآن لا مجال لإيقافه.

وأن تكون هذه أول حركة للقلم تجاه الزمن كذلك، فهذه علامة الأمل وسخافة الواقع. وفي الوقت نفسه، فإن الحرف الأول، مثل جنين، يجهل أي حياة قادمة، حتى نهاية روحه وإيقاعه وقوته وصورته.

لا تورط نفسك في أي مشكلة، إفجيني أليكساندروفيتش. فأنا مجرد جبان ضئيل وهذا محض خربشات. لماذا لا تحكي لي شيئاً مسلياً؟ فرغم كل شيء، هناك أشياء شيقة تحدث في عملك كل يوم؛ كل هذه الجرائم والقتلة والعاهرات والمغتصبين.

أيها الرب الرحيم، أي مجرمين؟ إنهم أشخاص عاديون. سكير أعمى، وآخر فاقد الصواب، ووحده يعلم الرب أي رعب يعانونه الآن. لا فكرة لدينا، يقولون، ولا دليل. لكن على أية حال، كيف تظن مجرد الظن أنني، وأنا رجل مستقيم، من الممكن أن أفعل شيئاً مثل ذلك؟ ولهذا قدما التماسات وتوسلات، ثم المزيد من الالتماسات والتوسلات، استجداء للرحمة، لكن لا أحد لديه أدنى فكرة عن كيفية إمساك قلم. اسمح لي أن أوضح. ضع الجانب الأيسر لأصبع الوسطى، بالقرب من الظفر، أسفل الجانب الأيمن للقلم، بهذه الطريقة. وضع الإبهام، كذلك بالقرب من الظفر، على الجانب الأيسر للقلم، ثم اجعل إصبع السبابة يستريح فوق مقدمة القلم دون الضغط عليها، كما لو كانت ستضرب مؤخرة القلم. واجعل القلم يستند على العقدة الثالثة من إصبع السبابة. هذه الأصابع الثلاثة تعرف بأصابع الكتابة.

ولا يجب أن يلمس الورقة إصبع البنصر أو الخنصر. يجب الحفاظ على مسافة بين اليد والورقة. فإذا لامست اليد الورقة، أو حتى لامستها مقدمة إصبع الخنصر، فلن تكون للمعصم حرية

الحركة. يجب أن يلمس القلم الصفحة بخفة وبسهولة، دون أدنى توتر، كما لو كانت هذه لعبة.

وأؤكد له، أن إصبعي الخنصر والبنصر، لا دور لهما، فهما من الزوائد الحيوانية الضامرة، فالإنسان بوسعه الكتابة ورسم علامة الصليب دون استخدامهما.

وكما ترى، لا أستطيع فعل أي شيء بشكل صحيح مطلقاً. فعلى سبيل المثال، منذ أيام قليلة مضت، قررت إغراق نفسي. فعلاً، لا تضحك. سجلت ملاحظة وأصقتها على المرأة. لكن في البداية، ولسبب غير معلوم، قررت التوقف عند مسبح عام، دون سبب. وللغرابية، إذا بي أتذكر هذه المرأة القوية تغسل شعرها الأحمر في مواجهتي. كان النمش يغطي جسدها كله؛ على صدرها، وبطنها، وظهرها، وساقها.

وكان شعرها غزيراً وطويلاً، وامتنص قدراً كبيراً من الماء، وهكذا فعندما رفعت رأسها لأعلى، كان حوض الغسيل شبه فارغ، قبل أن ينهمر شلال من شعرها في الحوض مجدداً. وعندما وصلت للجسر في النهاية، كان هناك قارب تجره سفينة. وكان الرجال على متنه يصيحون بشيء ما ويضحكون، كما لو كانوا يقولون، تعال، اقفز! وانتظرتها لتعبر، لكن خلفه مباشرة كان هناك قارب آخر ثم آخر. وكان الرجال على متن كل قارب منها يصيحون ويضحكون، ولم تكن هناك نهاية لهذه القوارب بامتداد الرؤية.

وفجأة بعث فيّ هذا المشهد البهجة، وتوجهت للبيت لأصل قبل الآخرين، والله الحمد. انتزعت الملاحظة، وأخذت رغيف خبز، والتهمته. وفعلياً، كان كل ما سبق أمراً جانبياً. استمر. أين وصلنا الآن؟

فلماذا لا نتحرك على السطر إذن؟ في البداية، اجلس مستقيماً واجعل كتفيك مسترختين. لا تستطيع الكتابة وأنت محني الظهر أو متوتراً. وكما ترى، عند قاعدة كل شيء يوجد السطر، وجرة القلم. خذ أي نقطتين في الفضاء، أو أي شكلين، ستجد أن بإمكانك رسم خط ليربط بينهما. وهناك تلك الروابط غير المرئية؛ موجودة بين كل الأشياء في العالم. تجعل كل الأشياء مرتبطة ببعضها البعض وغير قابلة للفصل.

وهكذا تصبح المسافة نسبية تماماً. فهذه السطور من الممكن أن تمتد مثل أحزمة المطاط،

والتي فقط تجعل الروابط بين الأشكال أقوى. وكما ترى، هناك سطر ممتد بين المحبرة وبين هذا الاستهلال والذي يترنح باتجاه الباركيه، بين دواصة البيانو وتفرعات الظل على حافة النافذة، بينك وبينى. إنه مثل رباط ضام يمنع العالم من التفكك والتهلوي.

والخط المرسوم بالقلم، مجازاً، هو ذلك الرابط متجسداً. والحروف لا شيء سوى علامات، أو خطوط، انتظمت معاً بواسطة عقد وحلقات لضمان الثبات. والقلم يربط السطر بالهيئة، بالشكل ويمنحه المعنى والروح... يؤنسناه، مجازاً.

حاول أن ترسم خطأ مستقيماً! حسناً، والآن هل أنت معجب بهذا الشعر المتعرج المضطرب. فالموتى لا يستطيعون رسم خط مستقيم. فالخط المستقيم مثال طبيعي صعب التحقق تتوق منحنيات عديدة إليه. تماماً مثلما تتمسك الحروف بالفوضى، وجميعها لديها تناغم وجمال متوارث؛ في تناسق المنحنيات، وطيش الانحراف، وانضباط نسبها.

والقلم فعلياً هو المسجل الذي يطبع دون خطأ على الورقة كل حلم وخوف، كل فضيلة ورذيلة، ويحتضننا في كل مرة نضغط عليه. وكل شيء يحدث في حياتنا ينتهي مباشرة على سن القلم. احكِ لي عن شخص ما، وسأخبرك تحديداً نوع خط يد هذا الشخص. (*)

(*) مجتزأ من رواية قصيرة بعنوان (Calligraphy Lesson). ترجمتها من الروسية للإنجليزية Marian Schwartz.

حوار

مسئولية الكاتب إعادة إحياء اللغة للتعبير عن الحب والكرامة والحرية

حوار: أليسا لوه

ميخائيل شيشكين، من أبرز الكتاب في الأدب الروسي المعاصر، وهو الكاتب الروسي الوحيد الذي حصل على أهم 3 جوائز روسية للأدب: جائزة بoker الروسية Russian Booker Prize (2000)، وجائزة الأكثر مبيعاً الوطنية the National Bestseller Prize (2007)، وجائزة الكتاب الكبرى Big Book Prize (2006 و 2011).

ولقد تمت ترجمة رواياته، وجميعها تمت معالجتها مسرحياً في روسيا، لـ 28 لغة.

وفي شهر فبراير 2014، انسحب شيشكين من عضوية اللجنة الروسية الرسمية في بوك إكسبو أمريكا، وهو حدث أدبي دولي عظيم، وبرر انسحابه في رسالة حظيت بانتشار واسع:

(في بلد السلطة فيها محاصرة بالفساد والنظام الإجرامي، والدولة عبارة عن هرم من اللصوص، وحيث أصبحت الانتخابات بمثابة مهزلة، وحيث ساحات المحاكم تعمل في خدمة السلطات، وليس القانون، وحيث يوجد معتقلون سياسيون، وحيث أصبح تليفزيون الدولة مثل العاهرة، وحيث تقوم عصابة اللصوص بتمرير القوانين المجنونة التي تعيد الجميع للعصور الوسطى، مثل تلك الدولة ليست روسيا التي تخصني. ولا أستطيع أو أرغب في المشاركة باللجنة الروسية الرسمية الممثلة لروسيا. فأنا أرغب وأنتوي تمثيل روسيا أخرى، روسيا التي تخصني، دولة خالية من اللصوص، دولة لديها نظام يدافع عن حق الفرد، وليس الحق في الفساد، دولة لديها إعلام حر وانتخابات حرة وشعب حر).

وخلال وجوده في الولايات المتحدة لحضور مهرجان نيويورك لكتاب نادي القلم العالمي New York for PEN's World Voices Festival، دار الحوار التالي مع محرر مجلة حول المسؤوليات السياسية للكتاب، والأدب الروسي، والتوجهات السياسية في عصر الإنترنت، ومهمة الكاتب في "إعادة إحياء اللغة".

* * *

• نهاية هذا الأسبوع تشارك في لجنة لمناقشة مدى اختلاف النقد من بلد لآخر. فكيف تصف النقد الأدبي في روسيا، هل هو صناعة خدمية، أم شكل فكري مستقل؟ وما هي وظيفته المثالية؟

- في روسيا، يختلف النقد اختلافاً كبيراً عن أي مكان آخر. فبشكل عام، النقد الأدبي هو وسيلة لإرشاد القارئ لما يجب أن يشتريه أو يتجاهله من الكتب، هذه هي الفكرة الشائعة عن النقد في كل مكان إلا روسيا. ففي روسيا، أنت لست مضطراً لشراء الكتاب، لأن كل الكتب متوفرة بالمجان على الإنترنت، قبل نشرها. جميع رواياتي متاحة بالمجان على الإنترنت، وأفعل هذا بنفسني لأتجنب تعرضي للقرصنة. وبهذه الطريقة أستطيع تحديد النص المكتمل.

وبهذه الطريقة، يقوم النقد الأدبي في روسيا بدور مختلف. فلدينا حرب أهلية. فعلى جانب هناك القوميون، الذين يظنون أن روسيا مدينة مقدسة، جزيرة محاطة بمحيط من الأعداء (وأولهم أمريكا) الذين يرغبون في تدمير روسيا. ولهؤلاء "الوطنيون" صحفهم ومجلاتهم الأدبية ونقادهم كذلك. وعلى الجانب الآخر، هناك النقاد الروس الليبراليون. وهؤلاء يعتقدون أننا جزء من الحضارة الكونية، وأنها يجب أن نتعاون مع الغرب.

وقبل نشر أي كتاب، يكون معروفاً أي ناقد سيقول "هذا كتاب رائع" وأي ناقد سيقول "هذا كتاب سيء للغاية". وتعرضت جميع رواياتي لنقد حاد من النقاد القوميين، لأنهم ظنوا أنني نمط ما من "العميل الأجنبي". وعلى سبيل المثال، نشرت مجلة أدبية كبرى تابعة لحزب اليمين ما يلي "بأي حق يكتب كاتب يعيش في سويسرا عن روسيا؟" ومثل هؤلاء مغيبون. فلقد أغفلوا أن هناك العديد من الكتاب الروس الكلاسيكيين عاشوا خارج روسيا

وكتبوا أكثر رواياتهم "روسية" وهم بالخارج، ومثال ذلك "أرواح ميتة" لـ "جوجل". أما الطائفة الأخرى من النقاد، فلقد قدروا رواياتي، دون اعتبار لمكان إقامتي. وهكذا بوسعك أن ترى أنها حرب أهلية في ظل ذلك التحيز. ولا أظن أن هذا هو الوجود الأمثل للنقد.

- في مقال حديث، قلت إنك في رواياتك تسعى للجمع بين المنجزات التقنية للكتابة الغربية وبين إنسانية الكتابة الروسية. فهل بوسعك شرح هذه الجملة؟

- بالنسبة لي، التقاليد الأدبية الروسية مهمة للغاية. أنا كاتب تقليدي للغاية، والتقاليد الروسية تعني أن الكاتب لا يجب أن يتخذ من الكتابة وسيلة للتسلية. في بلدي، أبداً لا يعتمد الكاتب على القارئ. بينما هنا في الولايات المتحدة، في الوضع المعتاد، يعتمد الكاتب على القارئ؛ يعتمد على معدلات البيع. فكلما ارتفعت معدلات البيع، وتزايد عدد القراء، كان ذلك أفضل للكاتب.

وفي روسيا، قبل الثورة، بعد الثورة، تمّ منع أكثر الكتاب جماهيرية، وهكذا كان من المستحيل شراء أو بيع كتبهم. لكن هذا انطبق على أكثر الكتاب جماهيرية، وهكذا فإن الهدف المثالي للكتابة لم يكن التسلية أو تحقيق مبيعات. كان الهدف المثالي للكتابة هو طرح بعض الأسئلة التي كانت مهمة للغاية بالنسبة للكاتب نفسه، مع إدراك تام بأن كتابه قد لا يصل للقارئ أبداً.

لكن لتلك الأسئلة أهمية بالغة للجميع. كيف تعيش في وضع مهين في ظل الديكتاتورية، ورغم ذلك تحافظ على الكرامة الإنسانية؟ وهذا هو سؤال الأسئلة. وعلى الأدب الروسي عبر الأجيال أن يسعى للإجابة عليه. على كل كاتب أن يسعى للإجابة عليه، ونحن بلد غريب للغاية، فكل جيل يحتاج حربه وديكتاتوريته.

لقد ولدت في بلد خاضعة للشيوعية، وفي نهاية ثمانينيات القرن العشرين، حصلنا على هذه الحرية، لكننا حصلنا عليها هبة من السماء، فتقريباً لم نكافح كفاحاً حقيقياً للحصول عليها. وهكذا حصلنا على إمكانية أن نبني وطننا بالطريقة التي نرغب فيها. فنحن أحرار تماماً. وإذا بنا نعيد بناء نفس الثكنات العسكرية، ونخلق ديكتاتورية جديدة، ونعيد تكوين نفس النظام الذي اعتدنا الحياة في إطاره، والآن مع وجود نظام جديد، يظل السؤال كما

هو: كيف نحافظ على كرامتنا الإنسانية، طالما كل شيء مهين؟ الآن لدينا محتالون جدد في الكرملين. وأظن أن لدينا نظاماً مجرماً؛ الرئيس والبرلمان، مجرد محتالين. فماذا نفعل؟ هذا هو السؤال.

- ولهذا السبب انسحبت مبكراً من معرض كتاب إكسبو أمريكا Book Expo America Fair هذا العام، لعدم رغبتك أن تمثل نظاماً تراه فاسداً ومجرماً. وفي هذه الأيام، في روسيا، كيف تصف المسؤوليات السياسية للكتاب الروس؟

كما ترى، لدينا الآن نظام من نوع خاص جداً. وخلال فترة النظام السابق، النظام الشيوعي، كانوا يعتمدون على العبيد. كانوا بحاجة للعبيد. ولهذا السبب كانت الحدود مغلقة، ولم تكن هناك من فرصة للهروب. أما الآن، فلدينا نظام القرن الحادي والعشرين. الحدود مفتوحة! وأي شخص لا يعجبه النظام، له حرية الرحيل، لأن النظام ليس بحاجة للناس على الإطلاق.

ومثل هؤلاء اللصوص عند وجودهم في السلطة فإنهم لا يحتاجون سوى أنابيب البترول والغاز. إنهم يبيعون ممتلكات الشعب، ولا يتقاسمون العوائد مع الناس. ويقومون باستثمار أو إنفاق كل هذا المال في الغرب. النظام لا يحتاج الناس على الإطلاق، ونحن لدينا وضع مميز للغاية لأنه بوسع جميع الناس المعارضين للنظام التعبير بحرية على الإنترنت. وهكذا أصبح لدينا الآن "جيتو الإنترنت"، كما كان الحال في العصور الوسطى. ففي الجيتو يستطيع اليهود أن يعبدوا ربهم بحرية، أما في المدينة فلا. والشيء نفسه صحيح الآن بالنسبة لروسيا؛ فعلى الإنترنت يستطيع الناس التعبير عما يفكرون فيه بحرية مطلقة، لكن معظم الناس يفتقرون للاتصال بالإنترنت. وهكذا يصبح التلفزيون هو مصدر المعلومات لملايين وملايين الأشخاص؛ غالبية الجماهير.

وبواسطة تلفزيون الدولة يتم التحكم والتلاعب بالجماهير. وهنا أظن أن مسؤولية الكاتب هي الشيء نفسه: الحديث وليس التزام الصمت.

• كتبت خطاباً تبرر فيه رفضك أن تكون ضمن اللجنة الروسية الرسمية في BEA لعام 2013. فهل لمثل هذا الشعور بالمسؤولية دور في قرارك بنشر هذا الخطاب على الإنترنت؟

- لا، ففعلياً لم أكن أنا من وضع الخطاب على الإنترنت، لكن في روسيا وجدت خطابي منتشرأ عبر الإنترنت، وقد حظي باهتمام كبير. وشعرت بالسعادة لأنني كنت سبب انطلاق مثل هذه المناقشة، حول كيفية الاتساق عندما تكون كاتباً وعليك التعامل مع النظام. وكثير ممن يحظون بالتقدير، مثل الممثلين المشهورين ومخرجي العروض المسرحية والموسيقية... يتوددون لبوتين، وهذا محبط ومهين للغاية، فقط لأنهم خائفون منه. فهم يعرفون أنه سينتقم بوقف تمويل المسرح.. إلخ.

أما أنا فلا أشعر بالخوف، وأدرك أنهم يستمدون قوتهم من خوفنا. وإذا لم تخف، فلن تكون لديهم أي قوة.

• في الحوارات والمقالات، يتشجع الكتاب ليكتبوا، حسب كلامك (بشكل خاطئ)، ليجدوا كلمات طازجة، لتجنب الأصوات المألوفة، وليتخلصوا من الاستخدام المعتاد للغة قدر الإمكان. وعند ترجمة أعمالك للغات جديدة، لتصل للولايات المتحدة والمملكة المتحدة، هل واجهت ترجمتها صعوبات بالغة؟

- هل كانت الترجمة صعبة؟ بالتأكيد. فلا توجد ترجمة سهلة. وفعلياً فإن كتاباتي هي نوع من الترجمة، كذلك. فكل شيء مهم في حياتنا، مهما كان، ليس محض كلام، بل يحدث بين الناس عند مستوى تغيب عنه اللغة. وهكذا، فإنني أترجم المهم بالنسبة لي للغة اللغة. وسأشعر بالسعادة إذا استطعت ترجمتها بلغة الموسيقى، على سبيل المثال، لكنني لا أستطيع سوى الكتابة والقراءة.

وكل ترجمة هي صراع مع الكلمات. وهكذا فأنا أخوض صراعاً مع لغتي الروسية، وكذلك أكرهها، فهي عدوي، لأنه من المستحيل قول أي شيء باستخدامها. فكل الكلمات، للأسف، كما هو الحال في أي لغة، ميتة. فأبداً لن أنسى كيف رغبت في التعبير عن حبي لفتاة لأول مرة. كنت في السادسة عشر، وتوجهت إليها، وفتحت فمي، لكنه تيبس، فلقد كان من المستحيل التعبير بالكلمات عما شعرت به حينها، لأن كل الكلمات كانت ميتة.

وهكذا على الكاتب أن يعيد بعث الكلمات، بمنحها حياة جديدة، للتعبير عن الأشياء المهمة، ليتمكن من التعبير عن حبه لفتاة، للغة وللعالم.

(5)

نظيفة محمد

الهوية الصومالية في إنجلترا

ولدت نظيفة محمد Nadifa Mohamed عام 1981 في هرجيسا بالصومال. كان والدها بحاراً في البحرية التجارية ووالدتها فلاحاً محلية. في عام 1986، انتقلت مع عائلتها إلى لندن على سبيل الإقامة المؤقتة، لكن الحرب الأهلية في الصومال التي اشتعلت بعد ذلك بفترة وجيزة، دفعتهم للبقاء في المملكة المتحدة.

والتحقت نظيفة محمد بجامعة أوكسفورد، حيث درست التاريخ والسياسة. وفي عام 2008، زارت هرجيسا لأول مرة منذ مغادرتها للصومال.

وحالياً تعيش نظيفة محمد في لندن، وتعمل على روايتها الثالثة.

وكانت روايتها الأولى (الفتى الأسود مامبا Black Mamba Boy)، قد صدرت عام 2009، وتعد بمثابة سيرة عائلية تدور حول حياة والدها في اليمن والصومال والسودان وجيبوتي ومصر خلال ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين، خلال الحقبة الاستعمارية. وعن هذه الرواية قالت إنها وليدة رغبة في معرفة المزيد عن جذورها، ولتعريف قطاع أكبر من القراء بتاريخ الصومال من خلال قصة أبيها التي وجدتها قصة استثنائية. ولقد حظيت هذه الرواية بترحاب جماهيري ونقدي في إنجلترا؛ وصولاً للشرق الأقصى في كوريا. وحصلت الرواية على جائزة بيتي تراسك عام 2010، ووصلت للقائمة القصيرة في العديد من الجوائز؛ من بينها جائزة الجارديان للعمل الأول عام 2010، وجائزة ديLAN توماس عام 2010، وجائزة جون ليوليان رايس عام 2010. كذلك وصلت للقائمة الطويلة في جائزة أورانج عام 2010.

وفي عام 2013، صدرت الرواية الثانية لنظيفة محمد بعنوان (بستان الأرواح المفقودة The

(Orchard of Lost Souls). تدور أحداثها في الصومال عشية الحرب الأهلية. ونشرت في دار (سيمون أند شوستر Simon & Schuster). وإذا كانت روايتها الأولى عن قصة حياة الأب، فروايتها الثانية عن الأمهات والبنات.

وفي ديسمبر عام 2013، كانت نظيفة محمد ضمن 36 كاتباً ومترجماً شاركوا في معرض كتاب الدوحة الدولي، في مؤتمر الترجمة الأدبية. واختارتها مجلة جرائد عام 2013 ضمن أفضل الكتاب الإنجليز الشباب. كذلك تم اختيارها لتمثيل الصومال في مهرجان هاي عام 2014.

قصة قصيرة

ساساياما¹

كان يوماً من أيام فصول الصيف التي لا تحصى بعد التخرج، عندما وجدت نفسي في مدينة يابانية صغيرة تدعى ساساياما. أربع بنات من لندن، وضعن في منزل مكون من حجرتين من حجرات التاتامي المدعومتين بعيدان البامبو. استلقين على أبسطة قديمة غير مريحة، وتابعن عروض التلفزيون المهووسة، وخططن لغزو كيوتو وأوساكا وطوكيو. كان المنزل مملوكاً لـ"ماري"، التي كانت تقوم بالتدريس بإحدى المدارس الثانوية المحلية، ومن رسائل بريدها الإلكتروني المتفرقة؛ أدركت كم استحوزت عليها الرغبة في الحياة بمدينة جديدة وحسبتها.

كانت "ماري" على دراية كاملة بخطط الأتوبيس المحلية ومواعيد القطارات، وقد بدأت حضور دروس في صناعة الفخار والتقطت بعض الكلمات اليابانية بما يسمح بطلب الوجبات في المطاعم. كذلك استغلت فرصة عدم وجود مصففي شعر من السود في ريف اليابان، وفي وجود أحواض غسيل الشعر التي سبق واشترتها من لندن وأحضرتها معها، كانت صبورة كفاية لتعلم أختين ودودتين، ميكى وميهو، فن فرد الشعر الأفريقي، وبعد ذلك علمت مصففي الشعر المحليين كيفية استخدام عملية تجفيف الشعر في الفرد والتصفيف. كان صالون تصفيف الشعر في وسط "ساساياما"، بين بار كاراوكي حيث عدد محدود من الزبائن العجائز سيئي الطباع ورفيقاتهم من النساء الصغيرات، وبين دكان صغير يبيع الملابس اليابانية التقليدية؛ الكيمونو واليوكاتاس، وكانت نوافذ هذا الصالون مغطاة بصور عرائس شعرهن مجعد ومموج تمويجات كبيرة وصغيرة.

1. Sasayama: مدينة يابانية تقع في وسط الجزء الشرقي من محافظة هايوجو. وتم إنشاء المدينة الجديدة في الأول من أبريل عام ١٩٩٩. (المترجم).

أما شعري أنا فكانت له ألوان الطيف، وذلك بعد حادثة تعرضت لها عند سقوط عبوة الصبغة عليه، ليصبح لونه أفتح، ويتجدد عند تعرضه للحرارة. ولمعرفتي أننا سوف نحضر حفلة للهيوب هوب مساء في أوساكا، قررت أن أذهب للصالون لتصفيف شعري.

استعرت دراجة ماري، وعند قيادتي لها أحدثت صليلاً خلال مروري على ماكينات الغسيل الثقيلة التي تدور في الباحات، متجاهلة أصوات تكسر جلود الثعبان الجافة المشابهة لصوت الشبشب مع كل خطوة، ومررت كذلك على حقول الأرز؛ حيث تتعالى أصوات صرار الليل، وحيث النسوة العجائز منحنيات وقد ارتدين أقنعة بلاستيكية تضيء بغاز النيون لتنقية الأرز منه. شعرت بأنني بعيدة عن وطني، وشعرت بالحرية. ضاعفت سرعتي في قيادة الدراجة خلال مروري بمحاذاة محطة السكك الحديدية وماكينات بيع التذاكر المغطاة بصفادع خضراء صغيرة، وكذلك خلال مروري بالشوارع الضيقة بوسط المدينة.

كان الصالون مفتوحاً، وعند دخولي رنّ جرس صغير. كانت هناك ثلاثة مقاعد فارغة فوقها ثلاثة مجففات، لها شكل القبة في مواجهة جدار مغطى بالمرايا، وكانت الأرضية نظيفة للغاية، وهناك كومة من المجلات على حامل جوار كل مقعد. اخترق رجل وامرأة حالة الجمود وأوماً تجاهي، فرددت عليهما بإيماءة تفتقر للود، ووجد بعض الصبية المراهقين المحليين حركة رقبتني المتصلبة مثيرة للسخرية والضحك. ابتسم مصففو الشعر واستمروا في العمل.

كان مصففو الشعر من الرجال يرتدون بناطيل وقمصاناً سوداء ضيقة، والسيدات كن يرتدين فساتين بيضاء من الكتان وحول الخصر حزام مربوط بإحكام. أشرت نحو شعري مقلدة شكل مجفف الشعر. "هاي! هاي!".. قالت بطريقة مستفسرة، وقادتني باتجاه المقعد الأوسط. وضعت غطاء من البلاستيك حول كتفيّ ومجلة على حجري، وعلى كل جانب وقف مصفف للشعر، قامت بإزالة دبابيس الشعر، وبلطف قامت بتصفيف شعري المجدد على أحد جانبي رأسي، بينما قام مصفف الشعر الرجل بالشيء نفسه على الجانب الآخر.

تطلعت لوجهيهما في المرأة، لاحظت أن حاجبيه خفيفان للغاية، وأن على شعرها مثبت

يحفظ تصفيفه، وعظام فكه، وصف الثقوب الفارغة على أذنها. وبسبب طريقة تعاملهما مع شعري، ذكراني بأقرب أصدقاء الطفولة، كما لو كانا قد حفظا الوعد بأن نظل معاً.

أخذا المجلة المفتوحة مني، أشار لي الرجل نحو الحوض وصحبني إليه. تمددت في المقعد الجلدي الرمادي، وأسلمت رأسي ليديه المضمومتين مثل كوب. وكان الجدار المقابل مزيناً بصور لرؤس، العديد منها كان غير واضح كما لو أن مصوراً هاوياً قد التقطها؛ مما جعلني أتساءل عما إذا كان مصففو الشعر قد قاموا بتصويرها بأنفسهم.

وبدت جميع الفتيات في الصور بمظهر عتيق، بتسريحات شعر منتفخة، ووجوه تخلو من التعبير، وبالكاد يبدو بعضهن متطلعات بشجاعة عبر المدى، والبعض الآخر لهن نظرة أم أو أرملة سارحة. وكان وقار هذه الصور متعارضاً مع سذاجة المظهر والحلي البسيطة لسكان الضواحي، والعرائس اللائي يشبهن الدمى بالقرب من مدخل الصالون، وأركان تبدو مسوخاً زمنية بما تضمه من أشياء غير متجانسة. كانت أصابع مصفف الشعر تدعك فروة رأسي فوق عظام جمجمتي، بينما كانت المروحة تطن، الغالية تصفر، وأنا من فرط الإنهاك أصبحت مطيعة للغاية.

وبعد لف شعري المبلل بمنشفة، عدنا لمكاننا السابق، حيث كان هناك فنان من الشاي الأخضر في انتظاري. "أريجاتو جوزايماسو شكراً لكم"، غمغمت لأخفي ارتباكي بسبب طريقة نطقي لليابانية. وبواسطة مجففين للشعر وفرشاتين بيدين طويلتين، قاما بتمشيط شعري إلى خصل مجمدة وعندئذ توقفا مشوشين، وتناقشا بينما كانا يضيفان الـ "موسيه" لشعري حتى جذوره. وكانت هذه تجربة جديدة لهما ولي. فلقد كان شعري عصياً على التمشيط والتطويع بمنتجات تصفيف الشعر المعتادة، فلقد كان يعاود التجعد مجدداً. تابعتهما، بداية في مرح، ثم باهتمام مع إضافة المزيد من الموسيه على شعري وتزايد أعداد أجهزة تجفيف ومكواة فرد الشعر بلا فائدة.

تساقطت قطرات العرق على وجه مصفف الشعر، وبدأت لي تتخذ مسارات بامتداد خط الفك، بينما كان صديقه متورد الوجه ويغني. عادت ذاكرتي إلى لندن وحياتي غير المستقرة هناك، والقرارات التي كان عليّ اتخاذها، بسرعة على ما أظن، حول أين أعمل، وأين أعيش،

من سأكون، وبشأن هذا الكتاب وهذه القصة التي جاءتني مفككة ولم أسع وراءها، وفي الرؤى والكلمات التي لا تنتمي لمكان بعينه. مشاهد من حياة أبي الطائشة والتي اقتحمت عليّ حياتي في أوقات غريبة؛ طالبة انتباهي الذي عانيت لأمنحها إياه. سأعود من اليابان لأجل لا شيء.

سقطت فرشة لتصطدم بالأرض بينما توقفت الآلات عن إصدار ضوضائها. فلقد انتهى العمل. كان شعري مصففاً وجافاً مقصفاً، بسبب المواد التي ترش لتثبيت الشعر، مثل شعر قارئ نشر الأخبار. تلاقت عيوننا في المرأة، لكنني لم أتمكن من إخفاء الصدمة، وقلت: شكراً لكم باليابانية مجدداً، لكن بصوت منخفض يخلو من الامتنان، وانحنيت قدر استطاعتي لأظهر لهم أنني لا أحمل لهم مشاعر سيئة. وركبت الدراجة من مدخل الصالون، ومررت على عدد محدود من المحلات لتهدئة أعصابي حتى لا أضرب مصففي الشعر. كان شعري جافاً بسبب المادة التي تم رشها والتي تركت عليه بقعاً بيضاء.

تمددت وتدحرجت ثم تركت للنسيم القيام بالباقي، بينما كنت أقود الدراجة عائدة إلى "ماري" والبامبو المسفوع.

الصبي الأسود مامبا

في مديح الأب

حسن م. أبوكار

هناك ثلاثة أنواع من النساء، الأول؛ نساء لديهن القليل أو ليس لديهن ما يقلنه عن آبائهن، والثاني؛ نساء يلعن آباءهن، والنوع الثالث؛ نساء يحتفين بآبائهن ويكرموهم.

هناك الشاعرة الأمريكية سلفيا بلاث التي كان لها أسلوب خاص في وصف والدها بأكثر الأوصاف قسوة وتجريحاً. ولا علاقة لذلك بأن والد سلفيا بلاث توفي بينما كانت هي في الثامنة من عمرها. ففي قصيدتها المشهورة "أبي" Daddy، تلوم "بلاث" والدها على كل شيء تقريباً؛ كل شيء سيء حدث في حياتها القصيرة الحافلة والمؤثرة، بداية من محاولتها الانتحار في سن مبكرة، وحتى زواجها بزميلها الشاعر "تيد هيويز". وفي قصيدتها، تستخدم استعارة لتشييه أبيها بهتلر وزوجها بمصاص الدماء.

إذا قتلت رجلاً واحداً، فقد قتلت اثنين

فمصاص الدماء الذي تلبسك

وشرب دمائي طوال عام،

سبعة أعوام، إذا رغبت في المعرفة.

أبي، بوسعك أن تسترخي الآن.

وتنتهي "بلاث" قصيدتها بسطر مؤلم عن الرحيل "أبي، أبي، أيها الوغد، أنا راحلة". وبعد ثلاثة شهور من كتابة هذه القصيدة، انتحرت سلفيا بلاث وهي في الثلاثين من عمرها بعد معاناة طويلة من الاكتئاب المزمن.

أما رواية "الصبي الأسود مامبا - Black Mamba Boy" لـ "نظيفة محمد" فهي محاولة

للاحتراف بالدهاء وإعلان العرفان له. ففي مرحلة الطفولة، تشربت نظيفة القصص عن فترة مبكرة من حياة والدها، والتي قد تبدو لأي متحذلق كقصيدة بالغة الحزن. لكن بالنسبة لنظيفة، كانت حكايات محفزة جدية بأن يضمها كتاب.

وفي غرب أفريقيا، يستخدم مصطلح "Griot" للإشارة للشخص الذي يحفظ التاريخ شفهيًا، تاريخ جماعة أو قرية، ثم يقوم بتسليّة الناس باستخدام وسائل مثل الحكايات والرقص والأغنيات. ولا تخل نظيفة محمد من التصريح بعلاقتها بأبيها، فتقول: "أنا الذاكرة الشفهية لأبي.. وهذه ترنيمة لأجله. أحكي لكم هذه القصة لأتمكن من تحويل دمه وعظامه، وأي شيء سحري خاطئه أمه تحت جلده، إلى تاريخ..".

ولدت نظيفة في هرجيسا، عام 1981 في الصومال، لكنها نشأت في إنجلترا. ولا تقارن حياتها الهادئة الخالية من الصدمات بحياة والدها وما واجهه من معاناة خلال شبابه.

في ثلاثينيات القرن العشرين، كان "جاما Jama"، بطل الرواية، يعيش مع أمه في عدن باليمن، وحينها كانت مستعمرة بها قاعدة عسكرية إنجليزية.

وكانت والدته "جاما" امرأة مطلقة، تكافح لأجل الحياة في بلد فقير؛ ليس وطنها. كانت امرأة متقلبة المزاج، لا يمكنك أبداً أن تتوقع رد فعلها. فمن الممكن أن تكون طيبة خيرة في دقيقة، وفي الدقيقة التالية تصبح عنيفة وقاسية. أما والد "جاما" فلقد هجرهما قبل زمن طويل، ويقال إنه يعيش في مكان ما بالسودان. وهكذا كان "جاما" يعيش بلا هدف، متجولاً في شوارع عدن دون عمل. لكن مثل هذه التجربة المبكرة في الشوارع القاسية باليمن، سيكون لها دور فعال عندما يعيش حياة زاخرة بالسخرية. فجأة تتوفى والدته، ولا تترك له سوى 100 روبية لا غير. لتقوم إحدى خالاته بإعادته إلى "هرجيسا" بالصومال، ليعيش بصحبة جده. لكنه لا يجد هذا الجد، ليعاني من التعامل مع أقاربه من النساء.

وفي "هرجيسا"، يسيطر والد "جاما" على تفكيره وحياته، ليصبح الصبي مدفوعاً بشكل مرضي للبحث عنه. وتستحوذ عليه رغبة هائلة في إيجاد والده، ليخرج "جاما" في رحلة تزيد على 1000 ميل، قطع بعضها سيراً على الأقدام والبعض الآخر بواسطة جمل وقطار وقارب، ليمر بجيبوتي وإريتريا والسودان ومصر وفلسطين وأوروبا.

وكانت رحلته شاقة مليئة بالصراع. فمن أزمة لأخرى، لكنها لم تخلُ من الاستفادة بعلاقات ومعارف القبيلة التي ينتمي لها، بالإضافة لصدقات الغرباء. وتشبه رحلة "جاما" المليئة بالمخاطر ما يواجهه المهاجرون الصوماليون اليوم من معوقات وجوع وأمراض وسجن، ليعيشوا في فقر يضطرهم للعمل في وظائف وضيعة لينتهي بهم الأمر في يأس تام.

وأسهمت مهارات "جاما" في تجاوزه لكل ذلك، حتى قابل امرأة في السودان، فأحبها، لكنه لم يكن قادراً على التوقف عن السفر. وعند وصول "جاما" إلى لندن، وصلتته أنباء من زوجته ليواجه أصعب سؤال في حياته.

من الممكن وصف رواية "نظيفة محمد" بأنها رواية عن الأبوة وكل ما يتعلق بها. إنها احتفاء بالأبوة، وتعبير عن الاشتياق للأب، والبحث عنه، بالإضافة إلى طرح سؤال شديد العمق والصعوبة، حول ما إذا كان الرجل يرغب في أن يكون أباً فعلياً أم مجرد واهب كريم للحيوانات المنوية.

"نظيفة محمد" كاتبة متميزة، تمزج الواقع بالخيال. تتميز كتابتها بأنها قادرة على إثارة الضحك العاصف. بالإضافة إلى أن كتابتها لا تخلو من تفاصيل تاريخية قد تبدو مملة، وكذلك بعض الجمل التي تتركها دون ترجمة بما لا يتناسب مع القراء غير الصوماليين. لكن إجمالاً؛ هذه الرواية جديرة بالقراءة. وبوسعي أن أرى "نظيفة محمد" تقول لوالدها، مع الاعتذار لـ"سلفيا بلاث"، (أبي، أبي، أنا فخورة بك).(*)

(*) حسن م. أبوكار: كاتب وصحفي صومالي.

المقال منشور في WardheerNews.

حوار

البحث عن الصومال في إنجلترا

- هل بوسعك إخبارنا عن مولدك في الصومال ونشأتك بيننا في إنجلترا؟
 - بالتأكيد، ولدتُ في مستشفى هرجيسا عام 1981، لكنني أعيش في لندن منذ عام 1986. كان أبي بحاراً في البحرية التجارية، وأمّي كانت فلاحاً في هرجيسا. كنا من بين المهاجرين الأوائل من الصومال لجنوب غرب لندن، رغم أن عمّي عاشا في غرب لندن لفترة خلال عملهما في إذاعة البي بي سي الموجهة للصومال. وبعد ذلك درست التاريخ والسياسة وأردت العمل في السلك الدبلوماسي، لكنني بعد التخرج قررت أن أكتب رواية عن والدي.
- "مامبا الصبي الأسود" روايتك الأولى التي نشرت في عام 2010، هل بوسعك إخبارنا شيئاً عن الرواية؟
 - تعتمد الرواية بشكل رئيس على التجارب الحياتية لأبي في شرق إفريقيا والشرق الأوسط خلال ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين. فالرواية تنطلق من رغبة في تعلم الكثير عن جذوري، وعرض التاريخ الصومالي على قطاع أكبر من القراء وتقديم الحكاية التي أجدها حكاية مذهلة.
- ماذا ألهمك كتابة روايتك، هل كانت فكرة استحوذت عليك لفترة، ورغبت في مشاركتها مع العالم؟
 - أظن أن الموضوع جاء مصادفة، فلقد تورطت في الكتابة خلال عملي بأحد الأفلام بعد تخرجي من الجامعة، وكذلك كنت أكتب لمجلة صومالية كبرى "شيكو - Sheeko"، لقد كنت في مرحلة تجريب فعلية، أعمل خلالها في أشياء مختلفة، وعندما بدأت أهتم أكثر

بقصص والدي، انتبه شيء ما بداخلي. وفعلياً أذكر اليوم الذي أخبرته فيه برغبتي في كتابة قصة حياته، وأظن أن كلانا لم يعتقد إمكانية تحقيق هذا.

- ما أهمية العنوان؟
- إنه ترجمة لكلمة "صالح- Good"، فكلمة "مامبا Mampa" بالصومالية تعني الصالح، وهو الكنية التي منحها جدي لأبي لا اعتقادها أنه كان طفلاً مميزاً؛ القدر بجانبه.
- ما أصعب جزء في كتابة هذه الرواية؟
- بدايتها، والاستمرار فيها، ونهايتها، تحريرها ثم حملة الترويج لها. جميع المراحل كانت صعبة!
- متى شعرت بالرغبة في أن تصبحي كاتبة؟
- لست متأكدة، فدايماً كنت أحب الهروب بقراءة كتاب ما، لكن لم يحدث أن بدأت الكتابة فعلياً إلا وأنا في بداية العشرينيات، خلال التفكير في العمل بأحد الأفلام السينمائية. فالكتابة دائماً مرتبطة بتصور أن الكاتب لا بد أن يكون ناضجاً وحكيماً، لكن عندما تسيطر عليك قصة ما، فإنها تدفعك لكتابتها.
- ما نظام الكتابة الخاص بك؟
- عادة ما أبدأ الكتابة بوقت متأخر مساءً، عندما يعم الهدوء، ولا يكون هناك ما يشغل انتباهي، لكن ليس لدي نظام محدد للكتابة. دائماً ما تكون هناك موسيقى بالخلفية، لكن نوع تلك الموسيقى يتباين للغاية من وقت لآخر، فمثلاً الآن أستمع لأسطوانة بعنوان "فجر جديد- New Dawn"، لفرقة وابري Waaberi.
- هل هناك كتاب لهم تأثير عليك؟
- أظن أنني تأثرت بكل ما قرأته، لكنني عادة ما أعود لقراءة بعض الكتاب مثل توني موريسون، ج. م. كويتزي وأرونداتي روي بحثاً عن الإلهام.
- تم نشر كتابك بواسطة ناشر كبير، كيف استطعت الوصول لشركة نشر كبرى؟

- في المملكة المتحدة تحتاج لوكيل، والوكيل الخاص بي "بن"، رائع للغاية وآمن بالرواية منذ اليوم الأول ونجح في بيعها لـ "هاربر كولينز". الوكلاء داعمون ومرشدون للكتاب.
- بوصفك كاتبة مسلمة وسوداء ومهاجرة وتقدم روايتها الأولى، فماذا كان توقعك لاستقبال روايتك؟
- لم يكن لديّ توقعات بعينها، فلقد ظننت أن حكاية والدي استثنائية، ملحمة بطولية تختلف عما سواها، وبالتالي اعتقدت أن الناس سيرغبون في قراءتها. الشيء العظيم في الروايات أن الناس تسعى لقراءتها للتعرف على ناس آخرين وأماكن أخرى، وهكذا يصبح تاريخك الخاص ليس عقبة بل توليفة فريدة من الممكن الانطلاق منها لمناقشة اهتمامات أوسع: معنى الحياة، وقوانين العائلة، والمعاناة والحب...
- يبدو أن "جاما"، الشخصية الرئيسة في روايتك، جاذب للأزمات، فأمه تموت وهو صغير، وأبوه يهجر العائلة، والعائلة مفككة، ويواجه انتشار وباء الملاريا، ويعاني مذلة الفقر.. إلخ، رغم ذلك يتمكن من النجاة. فهل هذه هي الطريقة التي رغبت في تقديم والدك بها للقراء، بوصفه رجلاً قوياً قادراً -رغم كل ما واجهه من صعاب وأزمات- على تكوين عائلة والاستمرار في الحياة؟
- مبدئياً أجب بنعم، لكنني أضيف أنه نموذج بطولة لكل الأطفال الذين لم يتمكنوا من النجاة والاستمرار، ليس بسبب أنهم أضعف، بل بسبب قدرهم أو حظهم السيئ أو الافتقار للدعم. أظن أن بعض الناس يبدون "جاذبين للأزمات"، لكن عادة ما يكون وضعهم الاقتصادي - الاجتماعي سبباً في تحول المشكلة إلى مشكلات. رغبت أن تكون قصة والدي بمثابة تأريخ للمشكلات السياسية الصومالية الحالية، وتسييس لتاريخنا كذلك.
- هل بوسعك توضيح ما تغير في "جاما" الرجل اليوم عما كان عليه وهو صبي؟
- الشيء الغريب أنني لا أرى تأثيراً للسنوات السبعين عليه، فالشخصية في روايتي من وحي خيالي، لكن هناك تشابهات هائلة بينها وبين والدي؛ نفس التعطش للمعرفة والاكتشاف،

ونفس اللطف وروح الدعابة، نفس الشجاعة، بوسعك أن تشعر بسهولة بوجود الصبي الصغير داخل الرجل العجوز.

- هل مقصود إخفاء أصل والدة "جاما"؟ فمعروف أن العائلة تعود أصولها لهرجيسا، لكن غير واضح هل الأم ولدت في عدن أم عند أي سن جاءت إلى هرجيسا؟
- لا تعتمد للغموض، فهي من البدو الصوماليين، ولدت في الصحراء (ربما في مكان ما بين هود وهرجيسا) ولم تكن معتادة على التعامل بالنقود حتى نهاية العقد الثاني من عمرها. ولم تغادر عدن إلا وهي في العشرينيات، وكانت هذه هي أول مرة تعبر فيها البحر، وتعمل مقابل أجر، وتعيش في مدينة، وترى المياه تتدفق من الأنابيب...
- الرواية تدور حول رحلة والدك الحياتية، وغالباً ما تكون البنات أقرب للأمهات، فكيف تعاملت أمك مع الأمر عندما بدأت التركيز على حياة والدك؟
- أظن؛ لعمل كثير من الرجال الصوماليين على المراكب؛ لم تدرك لماذا رأيت قصة والدي استثنائية، لكنني وجدتها مثيرة للاهتمام من طفولته المبكرة، فلم أعلم مطلقاً، مباشرة أو عبر الكتب، بوجود شخص عاش تجربة التشرد وعمل جندياً ومزارعاً وموسيقياً ثم أصبح مهاجراً، في مثل تلك السن مثل والدي. إنني أكتب رواية الآن تعتمد جزئياً على حياة أمي، وهكذا.. فربما تشعر هي الأخرى بالضجر من إزعاجها بأسئلتي.
- ما رد فعل قرائك على رواية "الصبي الأسود مامبا"؟
- عظيم، دعم مذهل، فكثير من الصوماليين وغير الصوماليين تواصلوا معي ليخبروني أن الرواية جعلتهم يبكون، ويعيدون التفكير في ظروف الأطفال حول العالم الآن، ويرغبون في محاولة شيء حيال ذلك، وبالنسبة لي فلم أطمح لأكثر من ذلك.
- هل هناك كتب في الطريق، وعلى أي شيء تعملين الآن؟
- أعمل الآن على روايتي الثانية، والتي تدور حول الحرب في الصومال، خاصة حول حصار هرجيسا وكيف أثر على حياة النساء اللاتي لم يتمكن من الفرار. كذلك أعد لكتابي

الثالث، وهو غير قصصي، ويدور حول حياتي الخاصة ومكان ولادتي في مستشفى هرجيسا.

- في الماضي، كان ظهور كتاب صوماليين مقصوراً على عدد محدود من الكتاب الرجال، لكن مؤخراً هناك عدد من الكاتبات الصوماليات مثلك ومثل ياسمين ماكسامود وكريستينا فرح علي التي ظهرت مؤخراً، فكيف ترين مستقبل الكاتبات الصوماليات، وما نصائحك لهن؟

- أظن أن المستقبل مشرق للغاية، وأظنه مستقبلاً أنثوياً! وهذه علامة أخرى على انفتاح المجتمع الصومالي أمام النساء، فمؤثر للغاية أن ترى العديد من البنات في المدارس والجامعات، ويتخرجن كذلك طبيبات وأديبات. إن أحد أسباب تدهور الحالة في الصومال اقتصادياً وسياسياً في العصر الحديث، يعود إلى تهمة 50% من السكان، وهذا ما يشهد تغيراً الآن.

أما النصيحة التي بوسعي تقديمها فهي عدم السماح لأحد أن يثنيك عن القيام بما ترغبين، سواء كان ذلك كتابة الشعر أو الرواية أو المسرحيات أو أي شيء كان، فلديك تصوركن الخاص حول العالم الذي يجب توصيله للآخرين. (*)

(6)

جيكيه ماريناج

بسبب قصيدة غادر وطنه إلى أمريكا

ولد الشاعر الألباني، جيكيه ماريناج Gjeko Marinaj عام 1965 في قرية صغيرة في بروت بالقرب من رابش – ستارجا في مقاطعة (ماليجيا إي ماديبي) شمال ألبانيا. درس الصحافة في جامعة فلورا Vlora ونشر أولى موضوعاته الصحفية وهو في عمر السادسة عشر. وهو في منتصف العشرينيات، نشر قصيدة مناهضة للشيوعية بعنوان "الجياد" في صحيفة دريتا Drita الصادرة عن اتحاد الكتاب الألباني. وتم تحذيره بأنه سيتم القبض عليه بسبب نشر هذه القصيدة، فهرب جيكيه من الشرطة بعبور المناطق الجبلية سيرا على الأقدام وفي جنح الظلام، ليعبر الحدود بين ألبانيا ويوغسلافيا. ولم يحمل معه سوى القليل من الكتب وبطانية سميكة لتحميه من الأسلاك الشائكة على الحدود.

ومن يوغسلافيا، هاجر جيكيه ماريناج إلى الولايات المتحدة. والآن أصبح مواطناً أمريكياً، يعيش برفقة زوجته "دوسيتا" في تكساس، حيث يعمل للانتهاء من رسالة الدكتوراه في الدراسات الأدبية بجامعة تكساس في دالاس. كذلك يقوم بتدريس اللغة الإنجليزية والأدب العالمي في كلية ريتشلاند.

ويشغل ماريناج حالياً منصب رئيس الجمعية الألبانية-الأمريكية للكتاب، وكذلك رئيس تحرير لصحيفة بينا انترناشونال، وهي صحيفة تصدر باللغتين الألبانية والإنجليزية في أمريكا.

نشر مجموعتين شعريتين (لا تهجرني Do Not Depart From Me)، تيرانا 1995، (اللانهاي Infinite)، دالاس 2000، بالإضافة لكتاب يضم حوارات أجراها مع العديد من الكتاب؛ بعنوان (الجانب الآخر من المرآة The Other Side of the Mirror)، دالاس

2003. كذلك ترجم 3 مجموعات شعرية من الإنجليزية للألبانية (ساعة السلام The Hour of Peace)، دالاس 2005، (في كهف أفلاطون In the Cave of Plato)، تيرانا 2006، (الشعر الأمريكي American Poetry)، تيرانا 2006، وهو موسوعة للشعراء الأمريكيين المعاصرين.

البروتونية

دور النقد الأدبي الإيجابي

في المجتمع الأمريكي للنقد الأدبي مكانة راسخة، فالمهتمون بالقراءة حريصون على تفحص المكتوب على أغلفة الكتب، ومتابعة مراجعات الكتب على الإنترنت، والتوجه للأصدقاء والزملاء لتقديم ترشيحات بالكتب الجديرة بالقراءة قبل المبادرة بقراءة قطعة أدبية مهمة.

ومن الممكن أن تكون هذه المراجعات سلبية أو إيجابية، لكن الناس يميلون لتقدير المراجعات الإيجابية أكثر من السلبية، لأنها تركز على السمات الكونية للعمل التي تجعله جذاباً. أما المراجعات السلبية فغالباً ما يتم تقديمها في سياق أن كاتبها لديه ذوق مختلف دون تصور جاد عن طبيعة الأدب الجيد.

ومن بين الوسائل لتفسير هذه الظاهرة، تأتي النظرية الأدبية لـ "جيكه ماريناج"، في كتابه (البروتونية: النظرية والتطبيق – Protonism: Theory into practice) والصادر عام 1991 بالولايات المتحدة. وأطلق على النظرية "البروتونية"؛ لأنها تستعير المفاهيم ذات الصلة بالإيجابي والسلبي من التركيب الكيميائي للذرات، والتي تحتوي على بروتونات ونيوترونات وإلكترونات. ففي الذرة، البروتونات، وهي الجزيئات موجبة الشحنة، والنيوترونات، جزيئات غير مشحونة/متعادلة، تكون لب الذرة المعروف باسم النواة. أما الإلكترونات، سالبة الشحنة، فهي تدور بشكل ثابت حول الذرة، لتربطها بغيرها من الذرات، لتتحرر تحت الضغط وأحياناً تندفع بعيداً عن الذرة. ويعتمد سميت الذرة ووزنها الذري على عدد البروتونات والنيوترونات في نواتها، وليس على عدد الإلكترونات سالبة الشحنة.

ويعتقد ماريناج أن جوهر كل عمل أدبي، مثله في ذلك مثل كل ذرة، هو العناصر الموجبة، أو البروتونات. أما العناصر السالبة فهي أضعف وأكثر صعوبة في تحقيق الإحاطة والفهم عند القيام بدور الناقد الأدبي. وفي حالات عديدة، يعتمد النقاد في تقييمهم للنقاط الضعيفة على

اهتماماتهم الشخصية المؤقتة، وانحيازاتهم وآرائهم الأخلاقية، والتي لا تحظى بالشيوع بين الجماهير. كذلك بوسع النقاد التعرف على الأشياء التي لا يحبونها في قطعة أدبية، لكن لا يجب أن يكون ذلك هدف النقد الأدبي.

وبناء على ما سبق، يقدم ماريناج نظرية البروتونية التي تعتمد التركيز على العناصر الإيجابية في الأدب، والتي تعد جزءاً من القوانين الطبيعية الكونية. وتعد هذه النظرية نظرية حكيمة تتناسب مع ما نعرفه.

البروتونية، نظرية أدبية وضعها جيكيه ماريناج لتوفير منهج جذاب ومقبول لممارسة النقد الأدبي. فالناقد البروتوني، عندما يتصدى لنص ما، فإنه يبحث أولاً عن القيم الجمالية والفكرية والأخلاقية في العمل، وفقاً لمعاييرها ومصطلحاتها. وإذا عثر الناقد على قيمة محدودة في العمل الأدبي، فعليه ببساطة أن ينحيه جانباً ولا يتورط في مناقشته على الإطلاق، حتى لا يسلط عليه الضوء، ليتجنب تقديم مقالة من الرطانة اللغوية.

ولمصطلح البروتونية صلة وثيقة بالسياق النقدي في البلقان، حيث النقد الأدبي غالباً ما يكون سياسياً أو طائفيّاً متعصباً أو سلاحاً أيديولوجياً، مما يلحق الضرر بالأدب. وهذه النظرية الأدبية صالحة للتطبيق كذلك في أماكن أخرى من العالم وبشكل فني.

والمصطلح ذاته ليس سوى استعارة مشتقة من دراسة الفيزياء للذرة، ووفقاً له يعتمد الناقد البروتوني على البروتونات ذات الكتلة والشحنة الإيجابية بدلاً من الاعتماد على الإلكترونات سالبة الشحنة؛ ضئيلة الحجم غير المستقرة.

وتتكون النظرية البروتونية من خمسة مبادئ رئيسية، هي: الحقيقة، التساؤل، الارتداد، الخصائص البروتونية وعلم الأخلاق.

قصائد

إلى دوسيتسا - لا شعوريا

لم تفقد الكواكب شيئا من الأهمية
خلال دورانها النشوان
ففي وجهة نظر الإنسان العتيقة،
تبدو متشابهة وبعيدة.

مهيبة مثل الأهرام العظيمة،
ورغم ذلك طغت عليها طبيعتك الصريحة،
المتخلصة من إرهاق الزمن وملله،
مثل فستان من النايلون بفتحة صدر منخفضة،
شغوفة لرؤية نفسها في مرآة جمالك الفائق..

فاتنة أنتِ
حتى إن الكواكب تبدو كحبات اللؤلؤ حول عنقك
... وإذا ما كانت تحمل البهجة داخلها
فإنها تنتظر لبعضها البعض في حقد، حبيبتي..

متطلعا من حيث أقف
تحيرني الفجوة بين وجودي كرجل
وبين اختيار القدر لي لأكون حبيبك
والغريب أنه هناك على الأرض

لا يتعرف الإنسان عليك في الفضاء
لكن كيف لهؤلاء البؤساء أن يستبينوا عالمك!

أرسل الأرضيون رواد فضاء، سفن الفضاء، أبولو 31
ليكتشفوا الحياة على كواكب أخرى، حبيبتي.
دون أن يشعروا بأن شيئاً ساحراً قد حدث
بمولدك،
فكل هذه الكواكب تصطف
حول عنقك حلياً مذهلة.

فتيات كاليفورنيا

يمشين على أطراف أصابعهن على الأذرع القوية للأرض الأم،
وبظلالهن المتمايلة يغزلن شراكاً سحرية،
عجائب شفافة - نظرات أسرة
المسهن، وسوف يتحول العالم إلى قباب من البلور.

فتيات كاليفورنيا،
ناعمات الحديث وعذبات الصوت،
لغة جسدهن تكفي لترتجف الأرض،
وفي عيون الشباب المتطلعين لهن - يبدو البحر
مثل زهرة يانعة-
يستخدمن الكلمات المعسولة،
ولأصواتهن نبرات مرتجفة
مثل أصداء تقترب.
من مملكة بكر مرصعة بالنجوم.

كاليفورنيا أرض الفتيات الجميلات،
لذلك،
فالسحب تتسكع في حيرة بينهن وبين السماوات
لذلك،
فبراكين هاواي الخاملة تثور في غضب لتلقي
بالنيران في جوفهن
وتسفع الشفاه الملحية للمياه.

حقاً،

دون فتيات كاليفورنيا، سيشعر الجمال نفسه باليتم.

هؤلاء الشقراوات الجميلات، معسولات اللسان
يحولن حياة الشباب إلى أحلام طويلة
ويغذين تلك الأحلام حتى يصبحوا شباباً يافعاً.

الجياد

نقضي حياتنا في العدو
لا نتطلع سوى للأمام
أما ما يحدث خلفنا، فنخشى معرفته.
بلا أسماء
نُدعى جميعاً "جياد"
لا نبكي.
لا نضحك
صامتون.
ننصت.
نأكل ما يقدم لنا،
نطيع من يقودونا.
ليس بيننا عبقرى بما يكفي.
للملك جواد
يضعون سرجاً مرتفعاً،
ولجواد الأميرة
سرج من ذهب
ولجواد لفلاح
سرج من قش.
أما الجواد البري
فيعيش في الخلاء طوال حياته
لكن يا رفيقي الإنسان، نحن كنا وسنظل مجرد جياد!

ألبانيا

الليلة سوف أنهض من نومي خلسة
مرتدياً قناع الأحلام الجميل.
أتوسل إليك، ألبانيا، أن تفعلي مثلي
أنتِ الروح التي تهب الحياة نسيمها
تثير إيقاع الحب المؤلم...
لنلهو باللحظات مثلما تلهو السنين بنا
في لحظة فريدة من الظمأ الشديد.
لنلتقي الليلة عند مفترق طرق إلى السماوات؟
لن تجدي صعوبة في التعرف عليّ...
لأننا متشابهان للغاية، عزيزتي
في خصلات شعري يسكن أبناء المستقبل
كل جديدة؛ مأوى نوافذه ليست مغلقة
صرخات الأطفال وضحك الأمهات المتعبات
هي أغنياتي لأهدد الأمسيات المملة حتى تمر.
لأول مرة، سينتج الصمت أغطية أسرة بيضاء
لتمتص سوائل الجلد المتصلب من الألم...
سوف تبدد العزلة ستار العري الحديث.
لأشبه علمك الممزق كريحه الرائحة،
مغبر مثل تربة القمر الرمادية، أو ربما مثل بترنيت..1
آه، ألبانيا،
حروف اسمك تحفظني من الحرمان.
صوتك يضيء المدن المهدامة من القدم

1. Butrint : منطقة أثرية ألبانية.

مثل رمال ساخنة خلال الهروب،
حيث جوهر ضحكي هو السخرية اللاذعة.
أريد أن ألقاك وجهاً لوجه حبيبتى!
ولو أصبت بالعمى من بهائك
سوف أرى نفسي والآخرين بشكل أفضل.

أي منا أنا؟
على أجنحة الضجة اللامعة
تجلت لي وجهاً تام الجمال
من حفرة مظلمة كانت بيتي.

الأمطار الناعمة لحبك الرقيق
تغمر مروج روحي المتجددة.

حلقت كل طيور العالم
من أشعار نيرودا
ولاحت لتمنح للسموات معنى
حتى إنها تزيل الآن بارود سنوات الثورة
وأقفال حزني السميكة.

تم تدليكننا بنعومة
أحدنا بالآخر، يا حبيبتى
حتى أصبحت عاجزاً عن تحديد،
أي منّا أنا،
في كرة الحب الزجاجية الهشة كالعادة؟

أم تتحدث لابنها الشاعر

أشرق وجهك الطفولي

مع تفتح أشجار الخوخ

الذي تشبهه.

لكنني أريدك

أكثر أناقة.

في عينيّ أخبئك

لذا فإن تحولك من برعم

إلى ثمرة فاكهة

ربما يكون مؤقتاً دائماً.

لم يترك نموك آثار أقدام على مريلتي.

فحتى وأنت تحبو

كنت تتوق لإمساك قوس قزح بيدك،

لكن في كل مرة يتلاشى فيها قوس قزح

بين خصلات شعر السماء المائلة للبياض.

تعود باكياً..

الآن لا تبك ولا تجر خلفه

لأن لديك قوس قزح من الكلمات.

أليس هذا شيئاً نادر الجمال؟

كنت أقيس نموك بكف يدي،

بينما الآن يقيسه الآخرون
بسطور الشعر التي تكتبها
أنت شاعر
والشعراء يتجاوزون حدود الفضاء.

عيناك

مثل سفير إلى عالم الحياة البحرية
أجيب بديلاً لشفاه الأسماك الضائعة.

حيث

تكشف الأسرار عن نفسها في الأحلام.

حيث

تشحن عيناك البطاريات للانتقال من

النهار إلى الليل ومن الليل إلى النهار

حيث

إذا ما تحولت عيناك للحظة إلى سماء مظلمة،

تتحول عيناك إلى محجرين في جمجمة محيط فارغ،

لأن

قديمًا، كان مقدراً على الحب أن يرى بعيني هوميروس.

كان هذا هو الخطاب الذي ألقته أمام مخلوقات الأعماق

في قاعة "البحر" للمرافعة.

ربما منذ هذا اليوم،

أصبحت التماسيح مرتابة من البشر،

لم تعد جبال الجليد تنشر القصائد عن النورس.

تهادت سرطانات البحر دون مساعدة من عيونها!

وحدها الأسماك ظلت مفتوحة الأفواه وبلا شفاه،

مسحورة بعينيك، فجعلتني أتردد

في إخبار الآخرين.

عيناك

مسكني حيث تتعلق روعي على مسمار
ملابس الشتاء.

إلى وطني الأم

كم من الأطفال دفعتهُم إلى المنفى منذ ذلك الحين
أنت، أرضي رمادية التربة، فتنني الصيفية.
ماذا تبقى،

وماذا يَخِرُّ جسدي من الداخل لفرط شوقي إليك،
لا أعرف:

حذائي، ينطلق نحو الطريق إليك، مخلفاً آثار أقدام رمادية على الطريق
مناظر ك الطبيعية جسورة لتزدهر متغلبة على فساد الأمس،
ملطفة هبات رياح الانفصال الباردة!
مدركة أنني كبرت على حفاظات الأطفال
المصنوعة من أوراق الشجر الخضراء،
التي خاطتها أصابع قوس قزح بإبر الصنوبر الرفيعة.
مر وقت طويل منذ التقينا آخر مرة،
لكن ما زالت الذكرى حية، روعي الغالية.
سأخطو مرتجفاً،

لكنني أدرك أنك لن تدعيني أبكي
في المروج المخصصة للترحيب بذريتك،
مرة أخرى سوف تعرضين عليّ ميدالية التصالح،
نهاراً، عين الشمس الحارقة،
يتبعها ليلاً وجه القمر،

تتعلقان في سلسلة وجودي الضعيفة.
وأفصحت عن مكنون قلبي في تحد لكلمة "نسيان"!

انظري، كيف ذبلنا معاً:
الأشجار التي بكت يوماً ما،
حتى تتحقق الخرافات،
لم يتبق منها سوى جذوع مقطوعة،
والآن، أصبحت للأغاني الشعبية أقرب،
والعشب البائس انحنى ذوايلاً فوق الأرض،
(كيف له أن يبقى أخضر ويانعاً؟)
لذلك، مدركاً أن وطني الأم هو أحضانك المرحبة،
سوف أتحول إلى طائر،
وأتى لأحيي أحلامك الذابلة،
في الأمطار مانحة للحياة لأمهاتك الراحات.
وأنت في روحي، لا يمكنني أن أموت وحيداً،
سوف تشعرين بخطوتي العرجاء،
بينما أنتظر هذه الرؤية.

كنا مراقبين وأجلنا الحب للغد

حينها، كان الهواء ينقل صخب المدينة
بعيداً، انتظرت الغابة لتطوقنا في رقة
بستارها الأخضر.
شعرنا بأن لقاءنا الأول كان يتطلب أماكن أهدأ
كانت السماء زرقاء، ولا ضباب في الأفق
كان منتصف الليل، لكنه بدا مثل الغسق بشكل ما.
لم نلمس الشراب، لكننا شعرنا بأننا ثملان.
كيف لنا أن نفهم ظمأنا للمجهول،
أو نتجاهل نظرات الناس المفترسة،
كيف لنا أن نثق بالآفاق الممتدة للسهول،
أو تساقط الطيور مسترقة السمع،
أو عباد الشمس الذي يسترق النظر إلينا؟
أليس إثماً أن نجعل أوراق شجر الغابة
تتوق في شوق عندما تنتظر إلينا؟
ماذا لو أن العشب، حيث نمرح، اشتعلت فيه النار
من عاطفتنا المتقدة.
كنا مراقبين،
فأجلنا الحب حتى الغد.

المحتويات

2.....	الطريق إلى نوبل.. طريق للقراء
6.....	بيتر هاندكه: مثير للجدل وحاصد للجوائز
9.....	قصائد:
9.....	أغنية الطفولة
13.....	إلى الأجل
16.....	آدم زجاجويسكي: متعة الفن والتاريخ
19.....	مختارات: اعتبارات خطيرة: دفتر مذكرات
23.....	قصائد:
23.....	على الطريق
28.....	الخريف
30.....	توازن
31.....	حوار: المشرّد دائماً.. آدم زجاجويسكي
38.....	محسن حامد: كاتب هجين.. شخصياته الروائية نماذج للبداءة الثقافية
40.....	البداءة الثقافية
43.....	قصتان:
43.....	المدمر: هجوم اليعسوب
48.....	قطع رأس
51.....	ميخائيل شيشكين: ما بعد الحداثة الروسية
53.....	قصصية: لا نستطيع الحياة بهذه الطريقة
60.....	درس الخط

- حوار: مسئولية الكاتب إعادة إحياء اللغة للتعبير عن الحب والكرامة والحرية.....63
- نظيفة محمد: الهوية الصومالية في إنجلترا68
- قصة قصيرة: ساساياما70
- الصبي الأسود مامبا: في مديح الأب.....74
- حوار: البحث عن الصومال في إنجلترا77
- جيكيه ماريناج: بسبب قصيدة غادر وطنه إلى أمريكا.....82
- البروتونية: دور النقد الأدبي الإيجابي84
- قصائد: إلى دوسيتسا - لا شعوريا86
- فتيات كاليفورنيا88
- الحياد.....90
- ألبانيا.....91
- أم تتحدث لابنها الشاعر.....93
- عينك.....95
- إلى وطني الأم.....97
- كنا مراهقين وأجلنا الحب للغد.....99